السنة السادسة عشرة   العدد ١   كانون الثاني ١٩١٣

المشرق

عادات الأمم في رؤوس الأعوام

نظر تاريخي للأب لويس شيخو اليسوعي

يجدد المرء في غرّة كلّ سنةٍ يتخطّاها شبهَ حياةٍ يستأنفها فكأنه بتوديعه لعام أدبر وسلامه على عام أقبل بمضاعف قواه ويباشر شوطاً جديداً من عمره . وإذا لقي في سنته المنصرمة ما كدّر باله وهيّج بلباله نسي ما نغّص عيشه او تناساه واحيا امله بما ترجّاه . فيكون رأس العام كبرزخ بين دهر مضى لا يؤسف عليه وعصر وافٍ يستبشر بخيراته

فلا عجب بعد ذلك انّ الامم كافّة عظّمت رؤوس اعوامها وتفنّنت في استنباط الوسائل تعرب عن مكنونات صدورها وتجاهر بعواطف قلوبها . فما من احد الّا ويحيّي العام الميمون ويستسلم للفرح والافاض في الادعية بالخير وتمنّي الاماني الصالحة

وقد رأينا بهذه السنة ان نسرّح العبارة في تاريخ الامم القديمة والحديثة لندوّن لقرّائنا شيئاً من العادات التي تعتادها الناس في بدء سنتهم فانّ في ذلك الأمر عبرةَ المعتبر وجدوى المستفيد

غنيّ عن القول انّ الشعوب لم تتّفق على تعيين يوم معلوم يبدأون به سنتهم اذ ليس في فصول السنة ما يستوجب اختيار يوم على آخر فانّ السنة شمسيّةً كانت او قمريّة تجري على نمط واحد فتتناوب الفصول الاربعة من ربيع وصيف ثمّ خريف

وشتاء فتنزل الشمس في بروجها والقمر في منازله دون ان يقضي يوم منها باختياره وتفضيله على سواه لافتتاح السنة

وعليه ترى الشعوب في تعيين بدء العام قد تباينوا وذهبوا مذاهب شتّى وها نحن نعدّد البعض منها

كانت السنة المصريّة شمسيّة ذات ٣٦٥ يوماً وكانوا في عهد السلالات القديمة يفتتحوها عند طلوع الشعرى اعني في ١٩ الى ٢٠ تموز وذلك لأنّ النيل يأخذ في ذلك الوقت بالتصاعد . ولمّا صارت مصر في حكم اليونان جعلوا يبتدئون سنتهم في شهر توت الموافق سابقاً لليوم ٢٩ من شهر آب شرقيّ و١١ ايلول غربيّ فجعلوا اوّل توت رأس عامهم لوقوع الاعتدال الخريفيّ في وقته ومنهم اخذ نصارى القبط حسابهم مع كبس السنة كلّ اربع سنوات واتّخذوا مثلهم اوّل توت كبدء سنتهم ودعوها بالنيروز وهي لفظة دخيلة اصلها من الفارسيّة ومعناها اليوم او العام الجديد

وكذلك الفرس والعجم كانت سنتهم شمسيّة كالمصريين الّا انّ بدء سنتهم يقع وقت الاعتدال الربيعي او قريباً منه فكان اوّل سنتهم في غرّة شهر فروردين ماه الموافق لليوم ١٤ من اذار

وكان البابليّون ثم الكلدان والسريان بعدهم يتّبعون السنة الشمسيّة مع بعض اختلاف عن المصريين والفرس فانّ هؤلاء كانوا يجعلون سنتهم ذات ١٢ شهراً متساوياً كلّ شهر منها ٣٠ يوماً ثمّ يضيفون اليها خمسة ايّام لتصبح ٣٦٥ يوماً امّا البابليون والسريان فانهم جعلوا اعداداً مختلفة لكلّ شهر فبعضها ٣٠ وبعضها ٣١ يوماً . امّا بدء السنة البابليّة والسريانيّة فكان ايضاً في الاعتدال الربيعي وكذلك الصينيّون اختاروا هذا الاعتدال لافتتاح سنتهم

كانت السنة اليونانيّة قمريّة شمسيّة ذات ١٢ شهراً قمريا مع الحاق شهر زائد على الشهر الثاني المسمّى عندهم باسم اله البحر بوسيدون (Ποσειδων) . امّا رأس السنة فاختلفوا فيه فانّ الاثينيين كانوا يبتدئون سنتهم في الانقلاب الصيفي في الشهر المسمّى شهر الذبائح (Ἑκατομβαιων) . امّا المقدونيّون فكان اوّل سنتهم في الاعتدال الخريفيّ في شهر المشتري (Δῖος) الواقع في ٢٤ ايلول وكذلك اهل

سيارته . وكان الايوليون يباشرون بسنتهم في الانقلاب الشتوي في اواخر كانون الاوّل

هذا وكان الله عزّ وجلّ عيّن لشعبه الشهر نيسان كاوّل شهورهم حيث قال لموسى (خروج ١٢ : ٢) : «هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم اوّل شهور السنة». وفي الرابع عشر منه كانوا يحتفلون بفصحهم . وبقوا على ذلك الى جلاء بابل فلمّا عادوا الى وطنهم حفظوا نيسان كبدء سنتهم الدينيّة واتّخذوا تشري (اي تشرين) وهو شهرهم السابع كبدأ سنتهم المدنيّة . لا سيّما اذ استولى السلوقيّون على بلاد الشام وكانوا يتبعون الحساب اليونانيّ لكنهم يبتدئون سنتهم في تشرين الاوّل المسمّى عندهم فورپيايوس (l'opmaïoç)

وكانت السنة الرومانيّة في اوّل عهد رومية تبتدئ بشهر آذار وتنتهي بكانون الاوّل وهو شهرهم العاشر (Decembris) ثمّ اصلحوا هذا الحساب بزيادة شهر دعوهُ مرقيدونيوس (Mercedonius). فلم يفِ هذا الاصلاح بالمرام حتّى قام يوليوس قيصر سنة ٤٦ قبل المسيح وبمساعدة الفلكي سوسيجانس قسم السنة الشمسيّة ١٢ شهراً مع كبس كلّ سنة رابعة . وهذا الاصلاح اخذته الكنيسة على علاتهِ وجرى عليهِ النصارى شرقاً وغرباً حتّى زاد الخلل بتوالي الاجيال وأصلح الحساب اصلاحاً نهائيّاً بهمّة البابا غريغوريوس الثالث عشر فكاد اليوم يعمّ كلّ البلاد غير الامم التابعة الى الكنيسة البوزنطيّة اي اليونان والروم وروسيّة والدول البلقانيّة وكذلك الكنائس المنفصلة عن كرسيّ هامة الرسل

اما رأس السنة عند الرومان فكان وقعهُ في بدء شهر كانون الثاني ولم يوافقهم في ذلك كل النصارى فانّهم عيّنوا لرأس السنة اياماً مختلفة على اختلاف البلاد بل تقلّب البلد الواحد في تحديده فانّ الكنيسة الرومانيّة تبعت زمناً طويلاً عادة الدولة الرومانيّة في جعلها اوّل كانون الثاني كبدء سنتها وبعد ان عدلت عنهُ الى عيد ميلاد الربّ بالجسد في ٢٥ كانون الاوّل عادت اليهِ ثانيةً بعد ان فصلت عيد ميلاد الربّ عن عيد الغطاس وجعلت في اليوم الثامن بعد الميلاد عيد ختانة الربّ . وكذلك اتّخذت يوم عيد البشارة (٢٥ اذار) كاوّل سنتها السياسيّة فانّ الاحبار الرومانيّين في كتاباتهم الرسميّة يعتبرون هذا اليوم كمفتتح سنتهم . وللكنيسة اللاتينيّة يوم آخر

لابتداء سنتها الكنسيَّة وذلك في غرَّة كانون الاول لوقوع وقت المجيء فيهِ

وهذه الاختلافات في تعيين رأس السنة تعدَّدت ايضاً في بقيَّة الدول النصرانيَّة فانَّ ملوك الروم مع الكنيسة اليونانية جعلوا مفتتح سنتهم في اوَّل ايلول وجرى على ذلك الروس حتى سنة ١٦٦٦ فاتخذوا اوَّل كانون الثاني كمفتتح لعامهم. والمملكة الفرنسويَّة جعلت رأس سنتها مدَّة يوم عيد ميلاد الرب ثمَّ عدلت عنهُ الى يوم عيد الفصح حتى اواخر القرون الوسطى فافتتحت سنتها في اوَّل يوم من آذار الى ان فضَّلت عليه بدء كانون الثاني سنة ١٥٦٤. ومثلها المانية وانكلترة كانتا تباشران بسنتهما يوم عيد الميلاد ثمَّ اتبعتا العادة الرومانيَّة فجعلتاها في اوَّل كانون الثاني: المانية سنة ١٦٩١ وانكلترة سنة ١٧٧٢. وكانت اسبانية تجدّد سنتها يوم عيد البشارة فجارت الكنيسة اللاتينيَّة في عادتها سنة ١٥٧٥ مع هولندة وبلجكة اللتين كانتا تبتدئان السنة يوم عيد الفصح. وكذلك دولة البندقيَّة كانت تعيّد راس السنة في اوَّل يوم من اذار ففي سنة ١٧٥٠ ألغت عادة تعييده في كانون الثاني. والارمن لا يزالون حتى اليوم يفتتحون سنتهم في عيد الدنح اي الغطاس

امَّا الدول الاسلاميَّة فانَّ سنتها قمرية محضة كما هو معلوم واوَّل سنتها واقع في محرَّم. الا انَّ تركيَّة في السنة ١٧٨٩ عيَّنت لها سنةً ماليةً بدؤها في ١ اذار شرقي وهذه السنة شمسيَّة تابعة للحساب القديم. وكان العرب قبل الهجرة يُنسئون شهراً من شهورهم كلَّ سنتين او ثلث سنين اي يضيفونهُ الى الاشهر القمريَّة لتوافق سنتهم فصول السنة الشمسيَّة ودعوا ذلك الشهر بالنسيء

اذ تبيَّنت اختلاف الشعوب في تعيين راس سنتهم بقي علينا أن نروي شيئاً من العادات الجارية عندهم في اوَّل السنة فنقول:

انَّ البابليين بوضعهم رأس العام في الاعتدال الربيعيّ ارادوا خصوصاً تعظيم الههم مرودخ الذي كان يمثّل لهم الشمس فكأنَّهم نسبوا اليهِ في ذلك الوقت الانتصار على الظلمة كما تغلب الشمس ظلمات الشتاء فيزيد طول النهار على الليل. ومن ثمَّ كانوا في ذلك اليوم يقدّمون التقادم والذبائح للاله الشمسيّ ويستسلمون للافراح لفوزهِ بالشتاء

إمّا المصريّون فكانوا يكرمون في ذلك النهار الهتهم ايزيس وهي ايضاً معبودة شمسيّة يعتبرون النيل كاحدى هباتها للمصريين فكانوا يعظّمونه بضروب التعظيم لانه يبتدئ بالزيادة في ذلك اليوم حتى كانوا يأتون فيه فتاة يدعونها عروس النيل يغرقونها لاكرامه . وكان الفرعون في ذلك اليوم يتقبّل هدايا عمّاله ويفرّق هو على خواصه ألطافاً شتّى

ثمّ توارث الاقباط شيئاً من عادات اجدادهم فكانوا في اوّل يوم من شهر توت وهو النيروز يدقّون البشائر ويقيمون الحفلات المتنوّعة التي وصفها كتبة العرب قال المقريزيّ في الخطط (١ : ٢٦٧) يذكر نيروز القبط :

« النّيروز اوّل السنة القبطية بمصر وهو اوّل يوم من توت وسُنّتهم فيه اشعال النيران والتراشّ بالماء وكان من مواسم لهو المصريين قديماً وحديثاً . . . والنيروز في اللسان السريانيّ العيد (١ وسُئل ابن عبّاس عن النيروز لِمَ اتخذوه عيداً فقال : انهُ اوّل السنة المستأنفة وآخر السنة المنقضية فكانوا يستحبّون ان يقدموا فيه على ملوكهم بالطُّرَف والهدايا واتخذته الاعاجم سُنّة . . . وقال ابن رضوان : ولمّا كان النيل هو السبب الاعظم في عمارة ارض مصر رأى المصريّون القدماء وخاصّةً الذين كانوا في عهد قلديانوس (ديوقلطيانوس) الملك ان يجعلوا اوّل السنة في اوّل الخريف عند استكمال النيل المائية في الامر الاكثر فجعلوا اوّل شهورهم توت »

وقد بالغ المصريون في افراح النيروز حتى جعلوها ثلاثة ايّام متواصلة فكانوا يخرجون الى القاهرة ويطوفون في الاسواق ويلعبون بالماء ويصبّ بعضهم على بعض ويأتون المنكرات حتى اضطرّ الخلفاء الفاطميّون وغيرهم ان ينهوا عن ذلك وربّما اقتصّوا من الفاعلين وحبسوهم وطافوا بهم على الجمال ليشهروهم لكن تلك العادات كانت تغيب مدّةً ثمّ تعود لتغلّب الاطباع . وممّن وصف النيروز القاضي الفاضل في تاريخ سنة ٥٨٤ (١١٨٨ م) قال :

« . . . ويركب فيه (اي النيروز) امير موسوم بامير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلّط على الناس في طلب رسم رتّبه ويرسم على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسّمين . . . ويجتمع المخنّثون تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبايديهم الملاهي وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزر شرباً ظاهراً بينهم وفي الطرقات ويتراشّ الناس

١) والصواب ان النيروز كلمة فارسية مركّبة من لفظتين معناها اليوم الجديد . يقال نيروز ونوروز

بالماء وبالماء والملح وبالماء الممزوج بالاقذار وإن غلط مستور وخرج من بيته لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فإمّا ان يفدي نفسه وإمّا ان يُفضح ». (وقال في تاريخ سنة ٥٩٢ (١١٩٦م)... » وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجدّ فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع وانقطع الناس عن التصرّف».

ونقل المقريزي عن ابن ميسون في تاريخ سنة ٥١٧ (١١٢٣ م) ما كانوا يقدمونه من الهدايا في النوروز قال:

« ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندرية وما يجدّ من الآلات المذهبة والحريري والسوادج وأُطلق جميع ما هو مستقرّ من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء اربابها واصناف النوروز البطيخ والرمّان وعناقيد الموز وافراد البُسر واقفاص التمر القوصي واقفاص السفرجل وبُكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع خبز برمازق (قال) وحضر كاتب الدفتر المسابات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو اربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر درهم فضّة والكسوات عدّة كثيرة من شقق ديبقية مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب نسائية ملوّنات وسقرلاد مذهّب وحريري وسفع وفوط ديبقية حريرية. فامّا العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمّن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمين ورؤساء الشاريات وبحّارها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب. وامّا الاصناف من البطيخ والرمّان والبسر والموز والسفرجل والعنّاب والهرائس على اختلاف اشكالها فيشمل ذلك جميع من تقدّم ذكرهم يشركهم فيه جميع الامراء ارباب الاطواق والاستاذين وغيرهم من الاماثل والاعيان ممن لهم جاه ورسم في الدولة ».

ولم يكن الفرس اقلّ نشاطاً من المصريين في تعييد نيروزهم ولعلّهم جعلوه في الاعتدال الربيعي كالبابليين تبجيلاً لهرمز اله النور الذي كانوا يعبدونه في صورة الشمس والنار. وذكر القزويني في عجائب المخلوقات انّ الفرس «كانوا يزعمون انّ الله ادار الافلاك وسيّر الشمس والقمر وسائر الكواكب في هذا اليوم». وجاء في كتاب اعياد الفرس لابن حمزة الاصفهاني انّ « اوّل من اتّخذ النيروز جمشيد احد ملوك الفرس الأوّل». وكان الفرس يتفاءلون به ويتبركون بالنظر الى شمعه ويزعمون انّه يوم مختار لانّه مسمّى بهرمز وهو اسم الههم « الصانع المتنيّ المربّي للدنيا واهلها ». وكانوا في هذا اليوم يتهادون الحلواء ويأكلون السكّر ويدهنون

بالزيت. ورُوي انهُ قُدِّم لعلي شيء من الحلاوى فسأل عنهُ فقالوا: للنيروز. فقال: نَيرِزُونا كل يوم. قال البيروني في الآثار الباقية (ص ٢١٦):

«وكان النيروز فيهِ جرى الرسم بتهادي الناس فيما بينهم السُكَّر. والسبب فيهِ كما حكى آذرباذ مُوبذ بغداد انَّ قصب السكَّر أَوَّل ما ظهر في مملكة جمّ (ملك الفرس) يوم نيروز ولم يكن يُعرف قبل ذلك الوقت وهو انهُ رأى قصبةً كثيرة الماء قد مجَّت شيئاً من عصارتها فذاقها فوجد فيها حلاوةً لذيذة فأمر باستخراج مائها وعُمل منها السكَّر ... وتهادوه تبرُّكاً بهِ»

وكانت سُنَّتهم ايضاً في النيروز صبُّ الماء فيهِ ويزعمون انَّ في هذا اليوم قسم الله السعادات لاهل الارض. وكان الملك يجلس فيهِ ويأتيهِ كلُّ واحد من خدمهِ وحشهِ بطرفة عجيبة. قالوا وكان الملك اذا استيقظ من نومهِ جعلوا امامهُ غلاماً حسن الوجه راكباً على فرس حسن على بدوهِ بازي حسن ليقع نظرهُ على اشكال حسنة يتيمَّن بها

ومن غريب ما روى البيروني في الآثار الباقية عن الفرس في اصل يوم النيروز (ص ٢١٥) زعمهم:

«بان سليمان بن داود كان افتقد خاتمهُ فذهب عنهُ ملكهُ ثم رُدَّ اليهِ بعد اربعين يوماً فعاد الى الملك بهاؤُه واتتهُ الملوك وعكفت عليهِ الطير فقالت الفرس «نوروز آمَدْ» اي جاء اليوم الجديد فسُمِّي النوروز. وامر سليمان الريح فحملتهُ واستقبلهُ خطّاف فقال: أيها الملك انَّ لي عشّاً فيهِ بُيَيضات فاعدِل لئلا تحطمها. فعدل ولمَّا نزل حملَ الخطّاف في منقارهِ ماء فرشَّهُ بين يديهِ واهدى لهُ رِجْل جرادة: فذلك سبب رشّ الماء والهدايا في النوروز»

واهل الهند والصين كانوا يقومون في بدء العام بمظاهرات شائقة فكان ملك الهند يخرج في موكب عظيم راكباً على فيل ابيض يتقدَّمهُ الجند والامراء. وكذلك ابن ماء السماء كان يسير بموكب جليل وكلاهما يدخل هيكل آلهتهِ لشكرهم ويقدّم الذبائح لاستلطافهم ثم يكرم على العامَّة بالهبات والعطايا فتُنار المدينة ليلاً وتتّشح بابهى الاقمشة والحليّ نهاراً وتصدح آلات الطرب وتُطلَق الفراقيع النارية

وان تقرَّبنا من بلادنا الشامية وجدنا الفينيقيين يزينون سواحلهم وسفنهم في رأس العام وكان يضحّون حينئذٍ للبعل ضحاياهم

امَّا العبرانيُّون فلا يذكر الكتاب المقدَّس لهم حفلةً في اوَّل سنتهم الدينيَّة

نيسان . امّا السنة المدنيّة البادئة في شهرهم السابع اي تشرين فانّ يومهُ الاوّل كان عندهم عيدًا حافلًا كما ورد في سفر الاحبار (٢٣ : ٢٤) حيث قال الله لموسى: « مُرْ بني اسرائيل قائلًا في اليوم الاوّل من الشهر السابع يكون لكم عُطلةٌ تذكارُ هتاف البوق محفلٌ مقدَّس. عملَ خدمةٍ لا تعملوا فيهِ وقرّبوا وقيدةً للربّ ». وبقي اليهود على ذلك حتّى يومنا قال البيروني في الآثار الباقية في القرون الخالية (ص ٢٧٥): « واوّل يوم (من تشرين عند اليهود) عيد رأس السنة يُنفَخ فيهِ بالبوق والسوافر وهي قرون الكباش ويبطل فيهِ العمل كما يبطل في السبوت وفيهِ زعموا قرّب ابراهيم ابنهُ اسحاق عليهما السلام ففُدي بالكبش

وقد عُرف هذا اليوم عند الربّانيين بعيد الابواق لنفخهم فيها في ذلك اليوم : وفي زعمهم انّ فيهِ تكون الدينونة الاخيرة حيث يدق الملائكة بالابواق ليدعوا الموتى

وكما كان اليهود يعظّمون رأس سنتهم كذلك العرب عظّموا اليوم الاوّل من محرَّم لانهُ غرّة الحول ومفتتح السنة عندهم . قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٦٧) : « محرَّم شهر مبارك قيل انهُ سُمّي محرَّمًا لحرمة القتال فيهِ فاليوم الاوّل منهُ معظَّم عند ملوك العرب يقعدون للهناء. كما انّ اليوم الاوّل من سنة الفرس وهو النيروز معتبر عندهم » . وكان قدماء العرب في الجاهليّة يدعون الشهر الاوّل المُؤْتمِر . قالوا دُعي بذلك لانهُ يأتمر بكل شيء. مما تأتي بهِ السنة من اقضيتها كأنهم يحكمون بيمن السنة او شؤمها من مطلعها

الّا انّ الذين اشاعوا اكثر من سواهم عادات الافراح الجارية في رأس السنة انّما كانوا الرومان فانهم لمّا اصلحوا كلنداوهم وجعل يوليوس قيصر ابتداء سنتهم في كانون الآخر اتّخذوا ذلك اليوم كعيد عظيم وخصّوهُ باقدم آلهتهم يانوس او جانوس (Janus) ومنهُ اشتقّوا اسم الشهر الاوّل ينواريوس او يناير فاعتبروهُ كالاله البادئ لكل شيء والمفتتح لكل الامور وكانوا يمثّلونهُ رأسًا بوجهين كانهُ يرى الماضي والمستقبل وجعلوهُ كاله السلام واقاموا لهُ هيكلًا كبيرًا يفتحون ابوابهُ طالما الدولة مشغولة بحرب مع غيرها ويقفلونها في ايّام السلام . وفي هذا اليوم كان ملوكهم الاوّلون يقدّمون للاله يانوس ألطف الهدايا من جملتها اغصانٌ من الزيتون والغار يقطعونها من غابة قريبة لالهة الصحّة الدعوّة ستريّنا (Strena) كأنهم يطلبون لسنتهم العافية

والاقبال ومنها اشتقّ الرومان اسم هدايا رأس العام (strenæ) التي دخلت في بقيّة اللغات الاوربيّة كالايطاليّة (strenna) والافرنسيّة (étrennes) . فكان مجلس الملك او القيصر في ذلك اليوم فيهديه مجلس البلد الهدايا الغالية الثمن وكان هو ايضاً يفرّق على ملازميه ضروب الهبات. وقد تفنّن الرومان في هدايا رأس السنة فكانوا يصطفون ما يُرمَز به الى بركة السنة فكانوا غالبا يهدون الرُطب والتين والعسل لحلاوة طعمها كأنهم يتمنّون لبعضهم سنة سعيدة طيّبة وكثيراً ما كانوا يرساون لبعضهم تلك الهدايا مغطاة بورق الذهب ويضيفون اليها قطعة من النقود الفضيّة او الذهبيّة . ثمّ جرت العادة ان يتهادوا السُرُج الخزفيّة اشارةً الى نورها وضوئها لتكون السنة نيّرة زاهية لاصحابها وكانوا يرسمون على تلك الاسرجة ادعيةً كقولنا " عام ميمون وسنة مباركةٌ ". وكان غيرهم يستبدلها بجرار وتماثيل وصفائح من الشمع يكتبون عليها الفاظ التهانئ او يرسمون الرسوم المبهجة . وشملت عادة تلك الهدايا كافّة الرومان فيهديها الاولاد لآبائهم والعبيد لسادتهم واهل الحرف لاساتذتهم . وفي ذلك اليوم كان الكهنة يدعون الشعب ليوقفوهُ على اعياد الشهر وكذا كانوا يفعلون في بدء كلّ شهر فدُعي اليوم الاوّل " كالندس " اي يوم الدعوة . لكنّ الرومان الوثنيين لم يلبثوا ان تعاطوا في ذلك اليوم من اللهو واللعب ما كانوا يخرجون فيه عن حدّ الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والعهور

فلمّا ظهرت النصرانيّة واتّبعت الكنيسة الرومانيّة ثمّ بقيّة الكنائس حساب السنة الرومانيّة اخذ بعض النصارى في اوّل شهر يناير يشاطرون مواطنيهم المشركين افراحهم حتى خيف على ايمانهم ولذلك ترى الآباء في ميامرهم ومواعظهم كالقديسين يوحنا فم الذهب وامبروسيوس واوغسطينوس كثيراً ما يزجرون اولئك المسيحيين المتحنفين في رأس السنة الموافقين لاهل الشرك في عاداتهم المستهجنة . وبناء عليه فرضت الكنيسة في ذلك اليوم على ابنائها الصوم والصلاة تكفيراً عن مآثم الوثنيين. قال القديس اوغسطينوس في شرحهِ للمزمور الثامن والتسعين: " اننا في رأس العام نصوم لكي ننقطع الى الحزن والتوبة بينما يستسلم المشركون لافراحهم ". وقد ورد مثل ذلك في اعمال غيره من آباء الكنيسة . وكذلك المجامع المكانيّة فرضت الصلوات والطلبات والصيامات في رأس العام الرومانيّ وتهدّدت بالحرم

النصارى الذين لا ينقطعون عن عادات الرومان الوثنيين وبقيت تلك السُّنن مرعيَّةً الى القرن السابع كما يلوح من مجمع طور في فرنسة سنة ٥٦٧ ومجمع القسطنطينيَّة سنة ٦٩٢

فلمَّا سقطت دولة الرومان واندرست آثار الشرك في اوربة ابطلت الكنيسة شيئاً فشيئاً تلك التقشُّفات لا سيما اذ جعلت في رأس سنتها عيد ختانة الربّ وختمت به الايام الثمانية المختصَّة بميلاد السيّد المسيح فعاد اوَّل العام عيداً بهيجاً متنزِّهاً عن قبائح عبدة الاوثان واستأنف النصارى عادة التهادي ومبادلة الالطاف

وكذلك انتشرت تلك العادات في الشرق وكانوا يدعون رأس السنة قلنداس وهو الاسم اللاتيني السابق ذكرهُ منصوباً (Kalendas) وخصُّوا بهِ اوَّل كانون الثاني حتى بعد نقل سنتهم الى شهر آخر. قال القزوينيّ في مطاوي ذكرهِ لاشهر الروم وقد جُعل اوَّلها تشرين الثاني فقال عن كانون الثاني (عجائب المخلوقات ص ٧٦):

« في اليوم الأوَّل منهُ يُرجى المطر وفيهِ القلنداس بالشام يوقدون في الليلة نيراناً عظيمة وكذلك في سائر بلاد النصارى سيما بانطاكية فانَّها اوَّل مدينة بدأت بها المِلَّة النصرانيَّة »

ومثلهُ المسعودي في مروج الاخبار (٣:٤٠٦) . وقال البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٩٢):

« كانون الآخر في اليوم الاوَّل منهُ . . . عيد القلنداس. وتفسير قالندس خيرٌ كان (١. وفيهِ يجتمع صبيان النصارى ويطوفون في بيوتهم ويخرجون من دار الى اخرى ويقولون: « قالندس قالندس » بصوتٍ عالٍ ولحن فيُطعَمون في كلّ دار ويُسقَون اقداحاً من الشراب فبعضٌ يزعم انَّ ذلك لانهُ رأس السنة عند الروم وهو تمام الاسبوع من ولادة مريم. ويزعم بعضٌ انَّ آريوس لمَّا ظهر رأيهُ وتابعَهُ من تابعَهُ استولى على بِيَعٍ من بِيَعِهم فخاصمهُ اهلُها ثمَّ تراضَوا واصطلحوا على ان يغلقوا بابها ثلاثة ايَّام ثمَّ يجيئونهُ معاً ويقرأون عليهِ بالتَّوب فمن انفتح لهُ الباب فهو مستحقُّها ففعلوا ذلك ولم ينفتح لآريوس وانفتح لهم زعموا. فلذلك يفعل صبيانهم ما يفعلون تشبيهاً بالبشارة التي بُشّروا بها في ذلك الوقت »

وكذلك ذكر البَيروني (ص ٣٢٠) انَّ الصابئين القاطنين في سواد العراق جعلوا

---

١) والصواب انَّ قالندس معناها الدعوة كما سبق لأنَّهم كانوا يدعون الشعب ليطلبوهُ باعياد الشهر الجديد وكانت هذه الدعوة في شهر يناير احفل واجمع من سواها كما مرَّ ولذلك سمَّاهُ الروم ايضاً عيد القلنداس (Καλανδῶν ἑορτή)

اليوم الاوَّل من هلال كانون الآخر عيد رأس السنة كالقلنداس للروم

وكأنَّ هذه العادات التي ذكرها العرب في يوم قلنداس توالت على كرور الزمان بين اهل الشام فيوقد بعضهم انوار النيروز في القرى ويطلب صغارهم في ذلك اليوم هديَّة يدعونها بالصباحيَّة اي هديَّة صباح السنة الجديدة . وشاع ايضاً بينهم اسم البِسْتَرِينة بمعناها وهم استعاروها من الرسالين الفرنج لا سيما الايطاليين فاشتقُّوها من كلمة (strenna) مع زيادة الباء في اوَّلها دلالةً على زمن تلك الهدايا

واكثر العادات شيوعاً في ايامنا تبادُل الناس بالزيارات والمكاتبات الوديَّة وإتحاف بعضهم بعضاً بالألطاف وتبرُّع المخدومين لخدَمتهم بشيء من المال

ولوقوع عيد ختانة الربّ في هذا اليوم تقيم الكنيسة الرتب الدينية وتدعو ابناءها ليشكروا الله على ما أنعم عليهم بهِ من البركات في عامهم المنصرم ويلتمسوا من مراحمهِ ان يعقبهُ بعام ميمون فيدرأ عنهم النكبات والبلايا واضرار النفس والجسد فتكون تلك الفرائض الدينيَّة كباكورة سنتهم ويكون الربّ مبدأ افراحهم وخاتمتها وهو الاوَّل والآخر « فالسماوات تزول وهو يبقى وكلها تبلى كالثوب ويطويها كالرداء فتتغيَّر وهو هو وسنوهُ لن تفنى » (عبر ١ : ١١) . فلالهنا البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقوَّة والقدرة الى دهر الدهور آمين (رؤيا ٧ : ١٢)

انين الثكلى

م فقدت ثلاثة بنيا . رواية واقعية تبيّن بعض نكبات المهاجرة

بقلم حضرة القس بطرس سارة الراهب الماروني اللبناني

الامّ

ألا مَنْ لي بدمعٍ مثل بحرٍ   اخوضُ غمارهُ في جمع درِّ
لانظمَ عِقْدَهُ في سلك شعرٍ   وانثرَ منهُ فوق صفيح قبرِ
يضمُّ أحبَّتي وحماةَ امري
يضمُّ برمسهِ خيرَ البنينِ   شباباً صارعوا أُسد العرينِ

فُجعتُ بهم وهم مثل الغصونِ   وقد قصفتْهم ايـدي المنونِ
ولم ترحم فـتىً بربيع عمرِ
فـا اقساك يا ملكَ المنونِ   خطفت حشاشتي وضيا عيوني
وقد جرَّعتني كأس الشجونِ   ثلاثاً يوم جُرتَ على البنينِ
فامسى العيش مُـرّاً بعدَ يسرِ
فتكتَ بيطرس الغصن الرطيبِ   وقـد أوديت بالخلّ الحبيبِ
غداةَ نأى الى بـلدٍ غريبِ   فبات القلب بالحزن الذيبِ
وبتُّ بدمعةٍ كالسيل تجري
وكنتُ رجوتُ ان أطفي الضرما   اذا ما عـاد ثالثهم سليما
ليشفي باللقا قلبـاً كليما   فعـاد اليَّ وا أسفي سقيماً
ونضرةُ وجهـه ذبلت كزهرِ
اتاني جورجُ مهزولاً عليـلا   كئيبَ القلب اذ فقد الخليلا
حببتُ بطبِّه اشفي غليـلا   فكان الطبُّ لا يغني فتيلا
وغـادرني بكسرٍ فوق كسرِ
قضوا يا لوعتي شُهـداء جِدٍّ   ضحايا الهجر في تعبٍ وكـدِّ
وهم ساعون في إعلاء مجدي   فكنت أشيمُ فيهم برقَ سعدي
ولكن خيّبَ الآمـالَ دهري
ألا يا موت زُرْ لا لستَ مرّاً   على ثكلى تفيض الدمع درّاً
ترى في عيشها كدّاً وضرّاً   ألا زرْ يا منون فلست شرّاً
من العيش الذميم بُعَيـد فخرِ
وهل تحلو الحياة بُعَيْد وُلْدي   اذا أمسوا رفاتـا طيَّ لحدِ
بفقدهم توارى نجمُ سعدي   ألا عجّل بكأسك كأس شهدِ
عساي بـهِ احلّي مرَّ صبري
دعوتُك يا منون تعالَ هيّاً   لارشفَ كأسكَ الحلو الشهيّاً
جلالُـك اذ تمثّلَ في بنيـا   حلوتَ ولم تعد مرّاً لديّا
فكأسك ليس حنظلُـهُ بمرِّ

تواردت المصائبُ بالتوالي . على قلبي فامسى لا يبالي
اذا ما داهمتْ سودُ الليالي اعرّضهُ الى رشق النبالِ
بصبرٍ قُدَّ من جلمود صخر

لمْ يا ربِّ انزلتَ المصائبْ بأمٍ غلتها بالسهم صائبْ
اتظلمني ! فحاشا لا تُعاتبْ فقلبي مُحرقٌ والدمعُ ساكبْ
متى دمعي يغسّل شيْن وزري

على رُحماك يا ربَّ الجلالِ جعلتُ بشكيتي كل اتكالي
احطُّ ببابك الاسى رحالي فانت الجود لا ترفض سؤالي
وفرّج كربتي في يوم عسرِ

الهي انت رحمانٌ رحيمٌ وانت بحالة الثكلى عليمُ
اذا ما كنتُ في البلوى اهيمُ بعين الحلم فأعطف يا حليمُ
على شكواي واسدلْ ستر عذري

الولد

ارى يا امِّ في بلواكِ عبرى بجلْ رموزها العلّامُ أدرى
اذا ما شاء ربُّ الكون أمرا بمكروهٍ فيؤتي المرء صبرا
على بلواهُ كي يحظى بأجرِ

لقد وضعتْ عنايته الجريّه يديْها بحكمةِ السنيّهْ
فلا تجزع اذا طرأت بليّهْ أما لله احكامٌ خفيّه
نرى فيها الخلاف وليس ندري

فكوني قدوةً للامهاتِ مثال الصبر عند النائباتِ
وجودي يا أميمةُ بالصلاةِ على قبرٍ حوى صنْو الرفاتِ
فتشكركِ الرفاتُ وايُّ شكرِ

الام

صدقتَ بنيّ لكن دع فؤادي يهيم بحزنهِ في كل وادِ
يئنُّ من المهاجر والبعادِ ويشكو راجياً يوم المعادِ

مساي أراكمُ في يوم حشر

من الأمزون (١) أشكو في مصابي أنهرَ الشؤم جُرتَ على الشبابِ

ألا لا كنتَ علّةَ الاغترابِ قضيتَ على فؤادي بالعذابِ

لحاكَ الله يا حفّار قبري

فكم يا مهجرُ أثكلتَ أمّاً وكم أذللت لبنان الاشمّا

ملأت هضابه ثكلاً وغمّاً وفي قلب البلاد نفثتَ سمّا

فكُدتَ تميته من شرّ كفرِ

اذا أغريتَ بعضاً بالنوالِ وجُدتَ عليهم بوفير مالِ

فكم من ضريبةٍ كم من وبالِ تجرّ وكم قتلتَ من الرجالِ

فامسى رَبعُ لبنانٍ كقفرِ

فكم فرّقتَ بين الامهاتِ وأقصيتَ البنينَ مع البناتِ

جعلتَ الشمل في شرّ الشتاتِ وبعتَ الدين بيع الكاسداتِ

وسُقتَ الى الضلالة كلَّ غُرِّ

بَني وطني تفرّقتم جميعا فصبَّ عليكمُ الوطنُ الدموعا

حرامٌ تتركُ الامُّ الرضيعا وتمشي في مهاجرها الربوعا

لتجمع ثروةً بضروب مكرِ

فسام بعضها خسفاً وعارا فلا تخشى الذلّة والصّغارا

وربّ صبيّةٍ خلعت عذارا وغرٍّ تاه بالكفر افتخارا

وباسم تمدّنٍ بالدين يزري

وكم من والدٍ ركب البحارا وغادر فتيةً باتوا حيارى

تفيض دموعهم ليلاً نهارا وليت جنانُهُ انفطر انفطارا

وتدميه أسى نكبات هجرِ

ألا يا قاتلَ الله المهاجرْ بها دارت على رأسي الدوائرْ

---

(١) هو أكبر نهر في العالم واليه يؤمّ المهاجرون من كل حدب وصوب وهو كان مرسح الرواية وعلّة هذه النكبة

ففاضت عَبرتي ملء المحاجر   علامَ أيا فؤادي انت صابر
ألا ذُبْ حسرةً من مرّ صبري

أيا كولُمبُ مكتشفَ البلادِ   أراكَ ممدَّحاً بثنا السوادِ
لِما قاسيتَ في خير العبادِ   فبئسَ الفضلُ أضرم في فؤادي
لهيباً لا يني يكوي لصدري

فتحتَ العالمَ الزاهي الجديدا   ونلتَ بفتحك الفخر المجيدا
فكان جزاك ان تُلقى طريدا   فجُرتَ وانت تقصد ان تفيدا
فكنتَ أحقُّ من لومي بعذري

مقتُّكِ يا ربى كولومبَ لمّا   أصبتُ بمهجتي فقضيتُ غمّا
لِما لم ترحمي ولَداً واُمّا   تئنُّ تحسُّراً وتموت سقما
وتصرخ ليس من جبرٍ لكسري

انادي القبرَ بالدمع السخينِ   فلا القى الجواب من الدفينِ
سوى صمتٍ فأركنُ للسكونِ   وتنحدر الدموع من الجفونِ
تحاكي البحر في مدٍّ وجزرِ

الولد

كفى اُمّاه قد طال الرثاء   لقد أدمى محيّاكِ البكاء
ألا صبراً اذا حلَّ القضاء   بحكم الله اجمعُنا سواء
على شرع المنون الكلُّ يجري

ومهلاً صابري في الحزن مهلا   ولكن لا تطلقي الصبر سهلا
مصابك يا اميمة ليس يُسلى   فنوحي واقرأي فصلاً ففصلا
مصائب سوَّدت صفحات دهر

انا يا ام تُقت الى الخليلِ (١   بُعَيْد فراقه المرّ الطويلِ
فسرتُ اليه في نفس السبيلِ الام بُنيَّ تركت امكَ في عويلِ
فصرتُ أسيرة الاحزان عمري

---

١) هو اخوه الذي قضى في ثغر الأمزون قبله بثلاث سنوات

أبيت ولم اذقْ للنوم طعمــا   اراعي في دياجي الليل نجما
اسائل ربَّ هذا الكون عمَّا   وراء القبر فهو يحيط علما
فيطلعني عــلى مخفيِّ امري

ارى تمثالكم ابــدًا امامي   فاحسبكم ظفرتم بالحمام
انا في يقظةٍ ام في منام ؟   ترى هل من يبلّغني مرامي
ويجمعني بكم في يوم حشر ؟

الولد

من الاحزان يا أمي أفيقي   وعزّي القلب بالقس الشقيق (١)
فــان دعاءه خـير الرفيق   يرافقنا الى الوطن السحيق
ويهدينـا الى اسمى مقرّ

هناك نقيم في خـدر السماء   بدار الخـلد ننعم بالبقاء
أليس بــذا لقلبك من عزاء   بلى اماهُ كفّي من بكاء
تعزّي أنعمي بالًا وسرّي

الام

بنيّ ألا ارحموا قلباً كسيرا   لاحزان المصاب غدا اسيرا
فليس سواكم يرضى عشيرا   مثالكمُ يكون له سميرا
يناجيــه باضمار وجهــر

بحق رفاتكم ان ترحموني   خذوني نحو ربعكمُ خذوني
لالقاكم واخلص من شجوني   واسعـد اذ تقرّ بكم عيوني
ايا ربّاهُ جُدْ بفكاك اسري

أراني ان مررت بمرج زهر   وان ابصرت إشراقاً لبدر
امثلكم شباباً طيَّ ذكري   واذكركم ضحًى ببزوغ فجر
فذكركمْ يــدوم دوام عمري

---

١) هو كاهن اخو الامّ الثكلى

وقائع العام المنصرم

نظر للاب لويس رنزفال اليسوعي

نظر عامّ

قد ودّعتنا السنة ١٩١١ وهي تُسمِعنا دوي مدافع الطليان في طرابلس الغرب وهاك شقيقتها ١٩١٢ تقرئنا الوداع وحولها الوف وربوات من قتلى الحروب وصرعى الاوبئة مضوا ضحيّة المطامع البشريّة وكم يذوق غيرهم في المستشفيات او في ساحات الحرب وشوارع مدن البلقان اوجاعاً يرون الموت بإزائها راحة

ولم تنحصر هذه البلايا في طرفي السنة بل كادت تعمّها فما انتهت الحرب الطرابلسيّة حتى لحقتها الحرب البلقانيّة فكانت ويلاتها افظع واعمّ فكم ارملت من نساء وكم ايتمت من اطفال وكم دمّرت من مدن ونسفت من قلاع . ولم تُحرَم مدينتنا بيروت من شرب نقطة من كأس الحروب المرّة ولا يزال يدوي في آذاننا صدى طلقات القنابل الطليانيّة لمّا فاجأوا ثغرنا في ٢٥ شباط فضربوا البارجة عون الله والنسّافة انقره واصابوا نحو مئتي نفس من جندهما ومن الاهلين المجتمعين في المرفإ فعرفنا بالعيان ما هي الحرب وما هي تواليها وادركنا معنى صلاة الكنيسة في طلبتها حيث تضرع الى الله كي يقي العالم « من الطاعون والمجاعة والحرب » وفهمنا وصف زهير لغوائلها حيث قال :

وما الحربُ الّا ما علمتم وذقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وتضرَ اذا ضرّيتموها فتضرمِ
فتعرككم عركَ الرحى بثفالها ... وتلقح كشافاً ثمّ تُنتج فتُتئمِ

هذا وصف لحروب الجاهليّة التي تفرق عن حروبنا الحالية فرق الثريّا عن الثرى فتفعل هذه في ساعةٍ ما لم تفعله تلك في عدّة ايام بل في اسابيع وشهور طويلة

بئست الحرب وبئس من يقبل على نفسه مسئوليّة شرورها . ولعلّ سائلاً يسأل كيف يستطيع عصر التمدّن ان يخوض مناقع الدم ؟ اين نتيجة مجلس التحكيم ومؤتمرات السلم في لاهاي ؟

ذلك كلّه حبرٌ على ورق ورقمٌ على صفائح الماء وضرب في الهواء ما دام الانسان مطبوعاً على المطامع وما دامت الدول لا ترضى بما قسم الله لها من النصيب. ألا ترى مثلاً الأُمّة الالمانيّة التي منذ جمع بسمرك قواها ودفعها على جارتها فرنسة فظفرت بها اخذت تعتبر نفسها كسيدة الممالك الاوربيّة فلا ترضى ان تكون بينها ثنياناً. ويغيظها خصوصاً ترقّي خصمها فرنسة فتعارضها في كلّ خطوة تتخطّاها الى الامام كما فعلت غير مرّة في مراكش ولم تسكن زعرتها حتى نالت قسماً من مستعمرات الكنغو الفرنساويّة. وكذا قل عن سائر الامم التي تحاول الترفّع والجاه وتنازع اقرانها لتوسيع دائرة نفوذها ونطاق سيطرتها. وما ذلك كما قيل طمعة القاها الله لسدّ جشع الشعوب

وليست المطامع الدوليّة السبب الوحيد للحالة الحرجة التي اصبحنا فيها بل لذلك سببٌ آخر ينجم من تلك المطامع كالمعلول من علّته نريد «السياسة الحاليّة» فانّ خوف الدول الاوربيّة من بعضها قد قسمها اليوم الى فريقين عظيمين التحالف الثلاثي (المانية والنمسا وايطالية) والاتفاق المثلّث (فرنسة وانكلترة وروسيا) فترى كلّ فريق منهما قائماً بالمرصاد لقرنه فاذا زاد الواحد شيئاً في قوّته البحريّة او البرّيّة اسرع الآخر الى زيادة مثلها لحفظ التوازن بينهما فلا يمرّ علينا اسبوع الّا تفيدنا الانباء الرسميّة عمارة سفن جديدة من طرز الدردنوط (١ واستحضار طيّارات حربيّة جديدة وانشاء اسلحة وتحصينات جديدة كأنّ اوربّة دار حرب واسعة مستعدّة للقتال قريبة ادنى اشارة اربابها لتخوض غمارهُ

امّا العمران واصلاح احوال الشعب وتخفيف الاثقال التي تنوء تحتها مناكبهُ فكلّ ذلك يبقى من جملة المواعيد العرقوبية فترى الفقراء وجمهور الناس يشكون لما يلقونهُ من المشقّات في سبيل المعاش اذ زادت اثمان المأكولات ولوازم الحياة دون

---

١) كانت البارجة الكبرى قبل ٢٠ سنة لا تكلّف اكثر من ٢٠ الى ٣٠ مليوناً من الفرنكات . والدردنوط يكلّف اليوم من ٥٠ الى ٦٠ مليوناً . وقد باشرت انكلترة باصطناع واحد منها ذي ٢٢ مدفعاً عيارها ٣٨٠ ميليمتراً يكلّف ٧٠ مليوناً . وكانت نفقات كهذه كافية قديماً لحرب بأسرها

زيادة تُذكر في الاجور . فهذا ما يُنقِم النقمة على الدول ويثير في قلوبهم ثوائر البغض والفوضى فيعمدون الى تلك الاعتصابات التي اضحت اخطاراً مهولةً على البلاد كاعتصاب فَعَلة مناجم الفحم في انكلترة والمانية واعتصاب النوتيين في فرنسة وانكلترة

ومما تطير له القلوب شعاعاً ان زعماء الاشتراكيين يزيدون كل يوم قوةً وقد فازوا فوزًا عظيماً في مجلس الأمة في المانية حتى بلغ عددهم في انتخابات منتصف كانون الثاني ١١٠ وكانوا قبلها ٥٣ فقط وانتخبوا رئيس المجلس من حزبهم

فهذه الاخطار انما سببها الاقرب ذاك السلمُ المسلّح الذي اضطرت اليهِ الدول الحاليّة بسياسة بسمرك الذي قلب احوال اوربّة ظهرًا لبطن فان ذلك « الكنشليار الحديدي » كما دعوهُ بعد ان سحق النمسة في سادوفا سنة ١٨٦٦ وألجأها الى موالاة المانية والعدول عن فرنسة كرّ بخيلهِ ورجلهِ على فرنسة فكان ما كان في الحرب السبعينيّة ثمّ سعى طاقة جهدهِ بعزل فرنسة عن بقيّة الدول وابعد عنها ايطالية التي لم تتم وحدتها الّا بفضل فرنسة وانما اراد ذلك لتكون هذه طعمةً لدولتهِ . لكنْ فرنسة لا تزال ابنة الكنيسة البكر رغماً عن ولاة امرها المتشيّعين للماسونيّة والمتأثين باغلال المالية اليهوديّة فأمكنها بشفاعة الطوباوية جان درك وجزاء عن اعمالها الخيريّة التي تقوم بها في الخارج المعمور ان تنهض نهضةً جديدة واتفقت مع انكلترة وعاهدت روسيّة فتمّ بذلك نظام جيشين هائلين . فالويل كلّ الويل اذا ما وقعت بينهما حرب عموميّة

ويوجد سببٌ ثالث ولعلّهُ اعظم من السببين الآخرين يجلب على الدول ضروب المحن والبلايا الا وهو ضعف الدين في القلوب . فانّ عدل الله الرهيب يؤاخذ الامم بذنوبها ويسقط الائمة في الحفر التي يحفرونها ألا ترى ما يجري اليوم في البرتغال وبلاد المكسيك وكوبا وجمهوريّة الأكوادور والبراغاوي فانّ اهل تلك البلاد اصبحوا اليوم في الفوضى يقوم بعضهم على البعض طمعاً في السيادة وتغليب الاحزاب لاسيما الماسون الذين اثاروا الريح فيحصدون اليوم الزوبعة بعد اوخائهم العنان للتعاليم الكفريّة وتخلّعهم نير الديانة الضابط لاهواء الجمهور

وربّما تراخى حبل السلطة الداخليّة في بعض البلاد بسوء تدبير اصحابها فصارت

الامور الى هرج ومرج كما ترى في تركيا حيث ضبط الاتحاديون زمام السياسة فلم يحسنوا التصرف مع العناصر المختلفة التي جرحوا احساساتها او لم يتداركوا خلل الدولة ليصلحوه . ويرقّوا الزراعة والصناعة ويكفّوا ايدي الجناة في مقدونية والبانية ويشدّوا ازر الوطنيين الصادقين وما الحرب البلقانية الا ثمرة هذه السياسة الحرقاء . فلما وقعت مذابح كرتشانه طفحت الكأس وقامت الدول البلقانية بعزم شديد لم يقم في وجهه عائق . وبينا كان الوطن على شفا الهلاك وحماة الدولة يسخون عليه بدمائهم كنت ترى الاتحاديين يتآمرون على ارباب الامر ليسترجعوا سلطتهم المفقودة

وما من شأنه ان يخفّف قلقنا ويسكّن بلبالنا بين هذه المصائب دخولنا بنهاية الحرب قريباً بعد الهدنة الاخيرة في جاطلجه التي صادقت عليها الدولة العليّة مع دول البلقان الا اليونان . واملنا ايضاً بانعقاد مفاوضة دولية في لندن عسى ان تكون عقبى ذلك الاجتماع صالحة تسفر عنها لوائح السلام الثابت

الكنيسة وإمامها الاعظم

كان امام الاحبار وعموم اهل النصرانية في العام الماضي يودّون لو يحيون ذكرا لانتصار قسطنطين الكبير الذي دحر اعداء دولته سنة ٣١٢ ونزع الملك عن مغتصبه مكسنسيوس وقتل الى رومية ظافراً تحت ظلّ راية الصليب التي اوحيت اليه صورتها لحقن دماء النصارى وكسر شوكة الوثنية بما اصدره من التقارير لكافة انحاء مملكته وبذلك تم الجهاد العظيم الذي قام بين السيد المسيح مذ ظهر للعالم وعدوه الألد رئيس اركان هذه الدنيا ابليس خزاه الله

لكنّ الحبر الاعظم اذ رأى انّ هذه الافراح لوقوعها في سنة اتقدت فيها نار الحرب بين ايطالية وتركيّة من شأنها ان تنمّ دولتنا العليّة تلطّف وأجّلها للعام المقبل واكتفى باقامة رتبة دينية حافلة في كنيسة لاتران وهي الباسليقة القسطنطينيّة وعلى جانبه الجرن الذي تعمّد فيه قسطنطين على ما يقال . ثم عقدت حفلة ادبية وافق وقوعها تقريباً زمن معاهدة الصلح في مدينة لوزان

على انّ الحبر الروماني كسيّده اذا ناله فرح وقتيّ ربّما عقبته احزان تنغّصه وتذكّره بصليب الجلجلة . ولعلّه لا يقضي يوماً دون ان يحمل هذا الصليب ويشعر

بعبثه الثقيل · فمن ذلك ما يراه قداسة البابا في البرتغال من نهضة الماسونيّة على الكثلكة · فانّ اصحاب الجمهوريّة الجديدة لم يكفهم فصل الكنيسة عن الدولة ونهب اوقاف الكنائس ونفي الرهبان وطرد الكهنة بل حدا بهم تطرّفهم وبغضهم للدين الى ان ينفوا من لشبونة بطريركها الجليل السيد مندس بلّو في ١٥ كانون الاول على انّ خروجهُ من بلادهِ كان اشبه بانتصار اذ شيّعهُ من قصرهِ الى المحطة نيف وثمانية آلاف من الكاثوليك محتجّين على عمل الحكومة الماسونيّة

ووجدت هذه الشيعة المقوتة الماسونيّة في اسبانية لها نصيرًا برئيس وزارتها كاناليجس الذي عرض على مجلس الأمة عدّة شرائع دسّها لمناهضة الكنيسة. وقد سمح الله ان تصرعهُ آخرًا يد احد الفوضويين فمات ضحيّة المبادئ الكفريّة التي نشّطها وذلك في ١٦ تشرين الثاني فعسى الصريع ان يكون في آخر ساعة حياتهِ اناب الى ربّهِ (١ . ونتمنّى ان خلفهُ في الصدارة لا يحذو حذوهُ وينفكّ عنهُ ربقة الماسونيّة واليهود رؤساء الشيعة · ونحن نعلم العلم اليقين انّ لسبانية اعرق في الدين واحبُّ لوطنها من ان تدع الماسونيّة تنفث سمّها القتّال في ابنائها ولنها تتصدّى لمساعي تلك الشيعة فتذود عن حوزة دينها وملكها وتعزّي قلب الي المؤمنين بعد ان كدّرتهُ معاداة كاناليجس للكنيسة

وكذلك المانية الكاثوليكيّة تضاعف همّتها لتُعرب عن خلوص حبّها لخليفة هامة الرسل لينية بنوهُ الكتابات المهينة التي ينشرها في حقّ الكرسي الرسولي الاباحيّون

١) ومما يثبت وجود العلائق بين كناليجس والماسونيّة رسالة كتبها اليهودي ناثان كبير زعماء الماسونية الايطالية لرئيس المحافل الاسبانية الاخ مورايتا (F.·. Morayta) في تاريخ ٦ ك ٢ سنة ١٩١٠ وفيها يصرّح ناثان بانّ الماسون اتّفقوا على اقامة كاناليجس بدلًا من موره (Moret) لعلمهم بانّهُ يساعدهم في تمهيد الطريق للجمهوريّة في بلدهِ وفي معارضة الكنيسة الكاثوليكيّة. وهذه الرسالة قد قرأها في مجلس الندوة الاسبانية بحضور كاناليجس الدكتور اجلياس (D. Iglesias) واذ نكر كاناليجس افحمهُ الدكتور اجلياس بذكر الجرائد التي اثبتت رسالة ناثان ولاسيما المراسلة الرومانيّة (Corrispondenza Romana) . ولمّا صادق المجلس الاسباني بعد ذلك بشهر على الحريّة الممنوحة للاديان غير الكاثوليكيّة اسرع ناثان ونشر في جريدة « Avanti » لسان حال الماسونيّة خبر تغلّب كاناليجس على الكاثوليك وسيرهِ على الخطّة التي رسمها لهُ الماسون

والبروتستانت وغُلاة الوطنيين فتراهم اذا ما قال الحبر الاعظم او كتب او عمل شيئاً في اثبات الايمان او تزييف الاضاليل العصرية تسارعوا الى توجيه كلامهِ الى غير معناه او الى نسبة اعمالهِ الى الغايات المادية لوطنهم كما فعلوا لمَّا نشر قداسة البابا تلك البراءة الجليلة المعاني الجزلة الالفاظ في تذكار المئة الثالثة لتثبيت قداسة كرلس بروماي رئيس اساقفة ميلانو فلمَّا ذكر مآثر ذلك القديس في مناصبتهِ لتعاليم لوتاروس واشياعهِ في ايطالية هاج بروتستانت المانية وماجوا زاعمين انَّ كلام امام الاحبار اهانة لدولتهم فاضطروهُ الى ان يمنع نشرها في المانية. وقد اشعرنا قداستهُ بما يلقاهُ في طريقهِ من المشاكل في المواجهة الخاصة التي تلطَّف فمنحنا اياها في ١٦ كانون الثاني حيث قال لنا: « انَّ اعداء الدين يتعاضدون في مناصبتنا فلا يسعنا ان نقول او نفعل شيئاً الَّا شوَّهوا نيَّاتنا وافسدوا اقوالنا ليثنونا عن نصرة الحقّ ». ولكنَّهُ بقوتهِ تعالى لا يثبطهُ عائق في القيام بواجباتهِ وهو خليفة ذلك الرسول الذي لم يُرعهُ تهديد مجلس اليهود فقال مجاهرًا: « انَّ الله احقّ ان يُطاع من الناس. انَّنا لا نقدر ان لا نتكلم ». والحقّ يقال ان تلك الكلمة البابوية لا تزال مقرونة ومسموعة شاء اعداء الكنيسة ام أبوا. وقد اسمع بيوس العاشر هذه الكلمة الالمانَ الكاثوليك في هذه السنة ايضاً فأعلمهم انهُ يثني الثناء الطيّب على الشركات الضمانيَّة المذهبية التي يعقدها الكاثوليك بينهم للدفاع عن صوالحهم الزمنية اما اذا كانت تلك الشركات شاملة لذوي مذاهب أخرى فانَّهُ لا يسمح ببقائها الَّا على شروط معلومة تنفي كلّ ضرر يلحق بايمان الكاثوليك

وممَّا امتعض لهُ قلب رئيس الكنيسة تشدُّد الدولة الروسيَّة على الدين الكاثوليكي في مملكتها. فبعد الحرب اليابانية كان جلالة القيصر تساهل نوعاً مع رعاياهُ واطلق لهم الحرية الدينيَّة فقام الوفٌ وربوات من الروسيّين الذين غصبوهم على جحود دينهم الكاثوليكيّ وطلبوا الرجوع الى مذهبهم القديم. فكأنَّ الارثذكسيَّة الروسيَّة رأت في ذلك خطرًا على وجدانها وكأنَّ ملكها خاف على رئاستهِ الدينيَّة فاسترجع القيصر اوامرهُ واستأنف المجمع الديني اضطهادهُ للكاثوليك فانَّهُ اعلن مؤخرًا انهُ يعاقب اشدّ المعاقبة كلّ روسيّ يبيع ذراعاً واحدة من ملكهِ للكاثوليك. فقرارات عدائيَّة كهذه من شأنها ان تثير البغض في القلوب وكفى بها شاهدًا على صدق مجلَّة

الكلمة التي لم تأنف ان كتبت بأنَّ « الكاثوليك يضطهدون الارثذكس » (كذا).
ولا عجب بعد ذلك ان نرى الحبر الاعظم يكرّر احتجاجاتهِ على روسيّة في سوء معاملتها للكاثوليك الامناء في خدمتها كما فعل اسلافهُ غريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع ولاون الثالث عشر . ولنا الامل ان روسيَّة تسمع ذلك الصوت الجليل فان لها في الكثلكة ضمان عزّها وثباتها كما قرّرهُ في كتاباتهِ فلاديمير سلوفياف احد الروسيين المخلصين الحبّ لوطنهم

وقد اصابت قلب الحبر الاعظم كآبة جديدة في هذا العام بما لقيهُ من العصيان في المجلس الملّي الارمني . فانَّ نائب السيد المسيح كان تلطّف ورضي بانتخاب الاساقفة مع المجلس المذكور لغبطة السيد بولس ترزيان كبطريرك على قيليقية بعد استعفاء غبطة السيد بطرس صباغيان . ثمَّ اتبع ذلك بنعمٍ جديدة منحها الطائفة الارمنيَّة اذ استدعى السيّد ترزيان وبقيَّة الاساقفة الى رومية حيث عيّنوا رؤساء للكراسي المترمّلة وعقدوا مجمعاً لاصلاح شؤون الطائفة . فرأى اولئك المردة في هذه الانعامات اجحافاً في امتيازاتهم المزعومة واتّفقوا مع الاتحاديين الفرمسون ليكفّوا يد بطريركهم الفضال عن التصرُّف بشؤون رتبتهِ وهم لا يزالون حتى الآن مصرّين على تمرُّدهم . امّا السيّد ترزيان فانهُ اتّكل على الله وعلى الكرسي الرسوليّ ولم تأخذهُ في دفاعهِ عن حقوق الكنيسة لومة لائم . ولذلك وجه اليهِ قداسة البابا في ١٠ حزيران كتاباً يعزّيهِ ويثني على ثباتهِ ويحرم كلّ من تعرَّض لسلطتهِ من ابنائهِ المقوقين

وكما احزنت هذه الاعمال المستقبحة قلب رأس الكنيسة الكاثوليكيَّة كذلك اشجتهُ المظاهرات التي قام بها اشياع الثورة في رومية ذكرى فرحتهِ الايطاليَّة فرأوا من الواجب ان يرشقوا بسهامهم الطائشة سجين الفاتيكان فانتهز اليهودي ناثان تلك الفرصة ليقيء بتفلهِ الوخيمة على الصخرة البطرسيَّة . لكنَّ تلك المظاهرات المستقبحة لم تُفد الثورة شيئاً بل كانت برهاناً جديداً على انتقاض حبلها لا سيّما اذا قُوبلت بتلك الحفلات الحافلة التي تسبي قلوب الناظرين كلّ يوم في ردهات البلاط البابوي فهناك يتحقّق كلّ ذي بصر ما للدين من السلطان الاسمى والقدح الأفوز

أجل انَّ قلب بيوس العاشر مجروح بتصويب نبال اعداء الكنيسة اليها لكنَّهُ ايضاً ينالهُ من التعزية والسلوان ما يرجِع افراحهُ على اشجانهِ . فمن ذلك ما رآهُ من انتعاش روح التقى في قلوب المؤمنين منذ حضِّهم على مثابرة الاسرار وعلى المناولة اليوميَّة ولم يشاء ان يُحرَم منهُ الصغار حتى في نعومة اظفارهم عند بلوغهم الرشاد. وقد سُرَّ قداستهُ بكتاب ذهبيٍّ رفعتهُ رسالتنا السوريَّة الى اعتابهِ كان فيهِ مجموع نيف ومئتَي الف من المناولات التي قدَّمها المؤمنون الكاثوليك على اختلاف طوائفهم في انحاء الشام على نيَّة امام الاحبار بمساعي آباء رهبانيتنا كتكفير عن الشتائم اللاحقة بشخصهِ الكريم . فبارك الاب الاقدس اولئك الاتقياء بركةً خاصَّة . ومن دلائل همتهِ وسهرهِ على خير كافَّة ابنائهِ مَنحهُ الشرقيين نعمةً أخرى طالما كانوا تائقين اليها نريد المناولة الحرَّة بين كلّ الطوائف على ايّ طقس كان (راجع المشرق العدد السابق ١٩١٢ ص ٨٨١–٩٠١) فكان لهذه النعمة احسن وقع في صدور الكاثوليك الشرقيين بلا استثناء. ولا شكَّ انها تأتي باثمار جديدة من التقى والروح المسيحي

وقد اثلج صدر الحبر الاعظم حادثٌ آخر اهتزَّت لهُ عاصمة النمسة بل اوربَّة جماء فضلًا عن العالم الكاثوليكي نريد ذاك المؤتمر القرباني الذي عُقد في فيَنَّة من ١٢ الى ١٥ ايلول فجرت في اثنائهِ تلك المظاهرات الفخيمة التي لا يُرى لها من شبيه في اعظم حواضر الدنيا. وكان شيخُ الفاتيكان يتبع كلَّ حركات ذلك المشروع العظيم فتأتيهِ الأنباء تترى تعلمهُ يوماً فيوماً بل ساعةً فساعة عن كلّ ماجريات المؤتمر . وكان الماسون واليهود كمألوف عادتهم قصدوا ان يشوّهوا تلك المظاهرات ويهيّجوا لمعاكستها الرأي العام بالخطب والجرائد التي اكثرها تحت سيطرتهم في النمسة لكنَّ الله خيَّب آمالهم . وفاق هذا المؤتمر على المؤتمرات السابقة في القدس في مالين في لندن في منتريال في مدريد وكلٌّ يعلم ما اتت بهِ تلك المؤتمرات من الآثار العجيبة . أجل انَّ الامطار العرمرميَّة كانت في مدَّة موتمر فيَنَّة متواصلةً حتى انها افقدت الطوافات العلنيَّة بالقربان الاقدس شيئاً من رونقها وفخامتها لكنَّ الدين الكاثوليكيّ قد اصاب في ذاك المؤتمر من الشرف والعزّ والجلال ما لم يُصب الّا نادراً مثله . لعمري لو لم يرَ مليونٌ من الناس الوافدين لتلك الحفلات سوى الامبراطور فرنسوا جوزف وهو شيخ مهيب في سن ٨٢ سنة يتقدَّم في طواف القربان الاقدس متخشعاً

امام رب السماء كجندي المسيح ومقتدياً باحد اجداده رودلف دي هبسبورغ الذي لما رأى كاهناً يحمل القربان الاقدس لمريض نزل عن جواده واركب الكاهن ومشى امامهُ اجلالاً لرب السماوات المحجوب تحت الاعراض السرية فكان ذلك كافياً لفخر الكنيسة . ولم يقتصر سلطان النمسة على ذلك بل اتى طول مدة المؤتمر باعمال تنطق بايمانهِ الصادق وحبّهِ للكنيسة ورأسها المنظور على الارض فأوّل ممثل قداسة البابا الكردينال ڤان روسوم كضيف كريم في بلاطهِ كما اضاف امراء دولتهِ الاساقفة والاعيان القادمين من جهات المعمور . وتقرّب الامبراطور مع اهل بيتهِ وحاشيتهِ من القربان الاقدس في وقت المؤتمر . ولمّا سار الموكب الاخير في ١٥ ايلول مطيفاً بالهِ السماء كان هو يتقدّم الجميع غير مكترث لهطلان الامطار . وفي ذلك اليوم خرج ارباب الدولة النمساوية ليشيّعوا القربان المقدّس في ملابسهم الرسمية وبزّاتهم الفاخرة ينوب كلّ منهم عن أمّةٍ من امم اوستريا المتعدّدة كالالمان والمجر والصقالبة والبوهيميين والتشك لابسين ازياء بلادهم التاريخيّة الرفيعة القدر الغالية الثمن المرقومة والمزركشة بالذهب والقصب . وكانت عربات البلاط الآخذة بالعيون لعجيب صنعها تقلّ كبار الدولة وكان الامبراطور جالساً في احداها مع وليّ عهدهِ تجرّهُ ستة من الخيل المطهّمة . امّا افخر هذه العربات فكانت عربة الملكة مريم تريزا الامبراطورة النمسوية الشهيرة وايّاها ركب الكردينال ڤان روسوم حاملاً لشعاع القربان . وكانت الجماهير المجمهرة الحاضرة في ذلك الموكب المهيب ما قُدّر عددهُ بمليون من البشر حتى خُيّل لبعضهم انّ اوربّة في ذلك اليوم انتقلت الى حاضرة النمسة . وممّن مثّلوا وطننا العزيز سيادة رئيس اساقفة بيروت على الموارنة المطران بطرس شبلي وهو كان يتمنّى لو رأى اهل بلادنا معاينين تلك المناظر الفتّانة فيعرفوا قدر الدين في قلوب الغربيين . وخلاصة القول انّ المؤتمر القرباني كان انتصاراً دوليّاً للدين الكاثوليكي . ولذلك شكر قداسة الحبر الاعظم جلالة الملك فرنسوا جوزف الذي عزّز مملكتهُ بتلك المظاهرات الفخيمة وحقّق وعدهُ بان يحمل المؤتمر تحت حمايتهِ

إي وايمُ الحقّ لم يمت الدين كما زعموا واذا خصصنا بنظرنا الكثلكة رأيناها تنمو وتزداد كلّ يوم عدداً وفضلاً فنيها تصدق مواعيد منشئها الالهيّ حيث

قال انّ انجيله سيُبشَّر بهِ في العالم كلهِ . فلا تجد في عهدنا بلداً ايًّا كان خالياً من بعض ابنائها ولو جُزتَ الى اقصى جزائر اوقيانية ودخلت بين اعرق الامم في الهمجيَّة لَلَقيتَ مرسليها وكنائسها ومشروعاتها المتادة في سبيل الدين والتمدُّن

وممَّا تبتهج له القلوب نجاح الكثلكة في البلاد البروتستانيَّة فتواصل بين اهلها الرقيّ في معارج التقدُّم والنموّ حتى بلغ ابناؤها في اقلّ من مئة عام اضعاف ما كانوا عليهِ . فانّ كاثوليك المانية كانوا سنة ١٨٠٠ عشرة ملايين وهم اليوم واحد وعشرون مليوناً . وترى حواضر الدولة حافلةً بكنائسهم زاهيةً بأعمالهم الخيريَّة ومشروعاتهم الاجتماعيَّة حتى اضحت برلين نفسها عاصمة البروتستانيَّة احد مراكزهم المهمَّة . وكفى بذكر مؤتمراتهم السنويَّة التي يعقدونها كل عام للوقوف على تقدُّمهم من الوجهتين الدينيَّة والمدنيَّة

ولعلَّ هذا الرقيّ اظهرُ واجلى في انكلترة . فان عدد الكاثوليك في انكلترة وحدها دون ارلندة قد زاد نحو عشرين ضعفاً فكانوا سنة ١٨٠٠ ١٢٠,٠٠٠ فبلغوا سنة ١٩٠٧ ٢,١٨٠,٠٠٠ لهم ٢,٠٧١ كنيسة يتولَّى تدبيرهم ٢١ اسقفاً و٤,١٦٦ كاهناً . وفي ظرف الاثنتي عشرة سنة الاخيرة قد ارتدَّ الى الكثلكة ٤٤٦ عضواً من الاكليروس البروتستانيّ و ٤١٧ من اعضاء البرلمان و٢٠٥ من ضبَّاط البحريَّة و١٣٢ من معلّمي الآداب والعلوم العليا و١٢٩ من المتفقهين و٦٠ من الاطباء و٦٦ من الأُسر الشريفة . . وللكاثوليك اليوم في مجلس الأمة ٨٢ عضواً وفي مجلس الاعيان ٤١ لورداً وفي مجلس الشورى ٢٠ ممثلاً

واغرب من ذلك نجاح الكثلكة في اوسترالية حيث لم يكن فيها سنة ١٨١٨ ولا كاثوليكيّ واحد وهم اليوم ينيفون على ١,٦٠٠,٠٠٠ يرعاهم ٣ مطارنة و١٤ اسقفاً و١,٤٠٠ كاهن فضلاً عن رهبانهم ورواهبهم البالغين ٥,٥٠٠

ومثلها غرابةً الولايات المتحدة حيث كان الكاثوليك فيها سنة ١٨٠٨ اربعين الفاً لا يزيد عدد كهنتهم عن ٥٠ كاهناً تحت رعاية اسقف واحد واليوم تضاعفوا حتى ناهوا على ١٠٦ اضعاف فصاروا وفقاً للاحصاء الاخير ٢٢,٥٨٧,٠٧٩ كاثوليكياً و١٦,٥٠٠ كاهن وقاصد رسوليّ و٣ كرادلة و١٣ مطراناً و٨٨ اسقفاً و١٣,٢٠٤ كنائس

وزاد عدد الكاثوليك في هولندة في السنة ١٨٠٠ الى ١٩٠٧ ستين ضعفاً اذ كانوا ٣٠,٠٠٠ فقط فبلغوا ١,٨٠٢,٠٠٠ يتولّى رعايتهم مطران واربعة اساقفة و٣,٧٠٨ كهنة و١٨,٨٢٥ راهباً او راهبة و٤١٦ كنيسة جديدة و١٣٦ كنيسة مرمَّمة وقد انفقوا على تشييد تلك الكنائس في اقلّ من عشرين سنة ١٢٠ مليون فرنك وكان وزراؤهم سنة ١٩٠٦ ثلاثة بين ثمانية اما المبعوثون فكانوا في مجلس النوّاب ٢٥ و١٨ في مجلس الاعيان

ولم تشذّ سويسرة من هذا النجاح فان كاثوليكها كانوا سنة ١٨٠٠ ١٢٠,٠٠٠ فزادوا على ثلاثة اضعاف وبلغوا اليوم نيفاً و ١,٣٠٠,٠٠٠ يدبرهم خمسة اساقفة ونائب رسوليّ

وكذلك البلاد التي تخضع للكنائس الروميّة المنفصلة فانّ الكثلكة رغماً عمّا تلقاهُ من العوائق في سبيلها لا تزال نامية فانّ الكاثوليك في رومانية ازدادوا من ١٦,٠٠٠ الى ١٥٠,٠٠٠ وفي البوسنة والهرسك من ٢٥,٠٠٠ الى نيّف و ٤٠٠,٠٠٠ وفي بلغارية من ١,٣٠٠ الى ٢٨,٠٠٠ والصرب من ٦,٠٠٠ الى ٢٠,٠٠٠ واليونان من ١٥,٠٠٠ الى ٤٤,٠٠٠ ولما منحت روسيّة حريّة الدين لرعاياها بلغ فيها عدد الارتدادات من سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٩ ٢٣٠,٠٠٠ منهم ١٦٨,٠٠٠ في بولونية الروسيّة والبقيّة في سائر انحاء الدولة

وممّا رأيناهُ في لبنان مؤخّراً ارتداد ١٥٠٠ من روم كوسبا وجوارها الى الكثلكة فنا يوم قطيع سيادة اسقف طرابلس السيّد الجليل يوسف الدومانيّ وكذلك أكّد لنا الثقة انّ عدداً ليس بزهيد من يعاقبة حماة اذ رأوا تقدُّم الكثلكة في مدينتهم بهمّة غبطة بطريرك السريان السيّد اغناطيوس افرام الرحمانيّ نووا ان يتّحدوا بالكنيسة الكاثوليكيّة بل اخذ بعض اساقفة اليعاقبة يتوقون الى هذا الاتحاد لما يرونهُ في بطريركهم عبدالله الصددي من سوء التصرُّف وقلّة الاكتراث للدين. فعسانا نرى يوماً تحقيق رغبة السيّد المسيح بان تكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد

فكل هذه الامور من شأنها ان تفرج همّ الحبر الاعظم وتسرّي عن قلبهِ . ولعلّ اعظم سرورهِ كان بنظرهِ الى فرنسة التي قطعت نوعاً معاملاتها مع الكاثوليك ورجعت الى ما هو افضل لخيرها واوفق لماضي تاريخها . ففي ١٦ أيار اتّحدت القلوب

تحت راية واحدة في ظلّ حماية الطوباوية جان درك الواقع في ذلك اليوم التذكار الثوري لمولدها فكانت الافراح شاملة لعموم الفرنسويين على سواء واجتمعت الدنيا مع الدين لاكرام مخلّصة فرنسة. والامل معقود ان يُتخذ تذكار جان درك السنوي كعيد فرنسة الوطني

وكذلك سُرّ كاثوليك الشرق بل النصارى عموماً لما صرّحت به الدولة الفرنسويّة من امر حمايتها للمسيحيين في انحاء الشرق وفقاً للمعاهدات التي جرت بينها وبين تركيّة مع مصادقة الكرسي الرسوليّ عليها واقرار الدول بثبوتها دون معارضة الى عهدنا هذا حيث دفع عامل المنافسة والطمع بعض الممالك الاوربيّة الى منازعة فرنسة ذلك الامتياز الخطير فرأت من واجباتها ان تقرّر حقوقها في وجه المعاكسين لسياستها وتنفي من عقول نصارى الشرق كل ارتياب في الدفاع عن صوالحهم في الاخطار الحاضرة. وقد اظهرت تلك الحماية فعلاً لأخذها بناصر المرسلين في الصين والعجم وتركيا. فعسى ان تكون هذه الاعمال مُفتتح عصر جديد لفرنسة تنكشف فيه غيوم الاضطهادات الدينيّة. كما انّنا نؤمّل انّ الشريعة الجديدة في تحرير الانتخابات تمهّد السبيل للسلام الاهليّ وتقرّب الدولة من الكرسيّ الرسولي فتعيد ما قطعته جزافاً من العلاقات الوديّة

ولا يسعنا السكوت هنا عمّا نالته الكثلكة من الامتياز في بلاد نروج بنسبة اليوبيل الفعلي الذي اقامه الكاثوليك في ١٨ أيار للسيّد فاليز (Mgr. Fallize) الذي كان اول نائب رسوليّ في تلك الدولة بعد انقطاع سلسلة اساقفتها بفعل الاصلاح البروتستانيّ الموهوم. واراد جلالة الملك هاكون ان يشارك الكاثوليك في افراحهم فمنح سيادته وسام القديس اولاف من رتبة كومندور وذلك بناءً برقيّ ارسله نصف ساعة بعد عودته الى مملكته وهو راجع من حفلة دفن والده الملك فردريك الثامن ملك دنيمرك. وفي هذه الفرصة افاضت الجرائد والمجلات البروتستانيّة في مديح صاحب اليوبيل ونشرت صورته وكتبت فصولاً اطرأت فيها الكنيسة الكاثوليكيّة ايّ اطراء. وسنروي شيئاً من كلامهم في شذراتنا ان شاء الله فترى فوز الكثلكة في تلك البلاد التي احدى شرائعها كانت سنة ١٨٤٢ الحكم بالموت على كلّ كاهن كاثوليكي يدخلها وبالنفي والاستصفاء المال على كلّ علمانيّ يعترف بها

ونضيف الى هذه الاخبار الدينيّة المفرحة ذكر حفلات اليوبيل الاسقفيّ الفضي لغبطة بطريرك السريان الكاثوليك السيّد اغناطيوس افرام الرحماني فتشكّلت لذلك لجنةٌ خاصّة تولّت ترتيب الاحتفال في ٢١ نيسان فتوالت الرتب الدينيّة الشائقة وعقبتها التهانئ الرسميّة من ممثلي الكرسي الرسولي والطوائف الكاثوليكيّة والحكومتين المحليّة واللبنانيّة وكان كثيرون من ابناء السريان وغيرهم اهدوا غبطتهُ الهدايا الثمينة التي عُرضت في احدى قاعات الدار البطريركية. ودامت تلك الاعياد ثلاثة ايّام ظهر في اثنائها ما لصاحب اليوبيل في كلّ القلوب من عظم القدر وخلوص الحبّ

وبالاجمال تُعدّ هذه السنة كسنة ميمونة على الدين والكنيسة وفيها خمدت نوعاً تلك الفتن التي كانت الماسونية وانصارها اثاروها لمناهضة ارباب الدين في لبنان وانحاء الشام. وانّما رُزئنا بفقد اسقفين جليلين كانت وفاتهما خطباً اليماً على طائفتهما نريد الطيّب الذكر السيّد جرمانوس معقّد اسقف اللاذقيّة شرفاً على الروم الكاثوليك الذي خصّهُ المشرق بمقالة مطوّلة (١٥:٤٥٦–٤٦٧) ثناء على اعماله الخيريّة والسيّد يوسف دياب رئيس اساقفة حلب على الموارنة المعروف بغيرتهِ وتقاه (لهُ بقيّة)

كتاب العمل بالاصطرلاب

لعليّ بن عيسى

عُني بنشرهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

سبق المشرق سنة ١٩٠٠ (٣:٨٢٤–٨٢٩ و٩٨٣–٩٨٦) فوصف الآلات الرصديّة التي اتّخذها العرب لمراقبة الفلك وقياس حركاتهِ. وقد خصّ هناك حضرة الاب كولنجت بالذكر الاصطرلاب (وكتبوها ايضاً اسطرلاب بالسين) وهو كما يدلّ عليهِ اسمهُ اليوناني آلة لقياس الكواكب الثابتة والسيارات في طلوعها وغروبها وميلها وارتفاعها وغير ذلك من حركاتها التي تُعرّف احوال الفلك ليلاً ونهاراً وفي فصول السنة المختلفة. وهذه الادلّة كان سبق الى وضعها

اليونان اوّلًا ثم زاد العرب في تحسينها حتى صارت منسوبةً اليهم وكانت على اشكال منها التامّ ومنها الكُريّ ومنها المسطّح ومنها ربع الاصطرلاب

ومِمّن أحسن في تعريف الاصطرلاب الحاجّ خليفة في كتابه كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون حيث قال (١ : ٣٢٤) : « علم الاصطرلاب علم يُبحث فيه عن كيفيّة استعمال آلة معهودة يُتوصّل بها الى معرفة كثير من الامور النجومية على اسهل طريق واقرب مأخذ مبيَّن في كتبها كارتفاع الشمس ومعرفة الطالع وسَمْت القبلة وعرض البلاد وغير ذلك او من كيفيّة وضع الآلة على ما بيُّن في كتبه وهو من فروع علم الهيئة »

ثم ذكر الحاجّ خليفة اصل الكلمة من اليونانية الى ان روى الرواية الآتية التي ندوّنها تفكهةً للقرّاء، قال : « وقيل انّ الاوائل كانوا يتّخذون كُرة على مثال الفلك ويرسمون عليها الدوائر ويقسمون بها النهار والليل ويصحّحون بها الطالع الى زمن ادريس عليه السلام وكان لادريس ابن يسمّى لاب وله معرفة في الهيئة فبسط الكُرة واتّخذ هذه الآلة فوصلت الى ابيه فتأمّلها وقال : من سطّره ? فقيل : سطر لاب . فوقع عليه هذا الاسم » . ثم اردف الحاجّ خليفة : « وقيل انّ اصلها فارسي من استاره ياب اي مدرك احوال الكواكب » والصواب ان الكلمة يونانية كما مرّ يؤيّد ذلك ما قاله الحاجّ خليفة بعد هذا عن واضع الاصطرلاب : « وقيل اوّل من وضعه بطلميوس واوّل من عمله في الاسلام ابرهيم بن حبيب الفزاري »

وللقدماء الكتبة عدّة تآليف في الاصطرلاب معروفة كلها باسم واحد « العمل بالاصطرلاب » ذكر منها صاحب الفهرست لليونان كتاب العمل بالاصطرلاب لثاون الاسكندراني (ص ٢٦٨) وكتاب العمل بالاصطرلاب لأيرُن (ص ٢٦٩) ثم ذكر للعرب كتابين لابي اسحق ابرهيم بن حبيب الفزاري من ولد سَمُرة بن جُنْدب وهو اوّل من عمل في الاسلام اصطرلابًا فله مبطّحًا ومسطّحًا . الاوّل « العمل بالاصطرلاب وهو ذات الحلق » والثاني « العمل بالاصطرلاب المسطّح » (ص ٢٧٣) . ثم عدّد غير ذلك من كتب العمل بالاصطرلاب لابي محمّد ابن عمر بن الفرّخان ولماشاءالله اليهودي (ص ٢٧٣) ولمحمّد بن موسى الخوارزمي (ص ٢٧٤) ولحبش بن عبد الله (ص ٢٧٥) وللنيريزي ايضًا . لكنّ معظم كتبهم قد فُقد ولعلّ اقدم ما بقي من الرسائل في العمل بالاصطرلاب الرسالة التي ننشرها عن ثلاث نُسخ الواحدة في مكتبتنا الشرقيّة حديثة والثانية قديمة يقدّر انها من القرن الثالث عشر هي في آخر مجموع رسالات طبيّة لدى جناب الدكتور اسكندر افندي البارودي والثالثة في دمشق في مكتبة الملك الظاهر هي قديمة ايضًا تلطّف جناب الباحث المدقّق حبيب افندي الزيّات فقابل عليها نسختنا ودوّن ما بينها من الاختلافات

امّا المؤلّف فلا نكاد نعرف من امره شيئًا . فانّ في كتب الحكماء كابن القفطي وابن ابي اصيبعة وغيرهما لم نُرد له ترجمة وانّما جاء اسمه فيها عرضًا والمرجّح انه عليّ بن عيسى الذي ذكره ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٤) في باب اسماء الصنّاع حيث قال : « عليّ بن عيسى غلام المرورّوذي » يريد انه اخذ عن احد علماء الفلك الذي عرفناه سابقًا اي عمر بن محمّد المرورّوذي مؤلّف كتاب صنعة الاصطرلاب المسطّح . ثم ذكر لعليّ بن عيسى غلامين اخذا عنه

وهما احمد ومحمّد ابنا خلف . ويقال انّه كان يتعاطى الطبّ وكان طبيباً للخليفة المعتمد الذي تولّى الخلافة من السنة ٢٥٦ الى ٢٧٩ هـ (٨٧٠-٨٩٢ م) وليس من هذا الكتاب نسخ معروفة الّا نسخة سقيمة كما يظهر مصونة في مكتبة ليدن (Cat. Cod. Or. Lugd. Batav. III, 139-140) ولعلّ في مكتبة الاسكوريال نسخة ثانية منه لم نطّلع عليها ذكرها الغزيري (Casiri, n° 972) تحت اسم العمل بالاصطرلاب لعلي بن عيسى الاشبيلي (كذا) وهي في ٣٥ بابا

وفي مكاتب اوربّة الشرقية كتب غير كتابنا في الاصطرلاب كلها احدث عهداً من كتابنا منها العمل بالاصطرلاب لاصبغ بن محمّد الغرناطيّ المتوفّى سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٦ م) ولأميّة بن عبد العزيز ابي الصلت الاندلسيّ ٤٦٠-٥٢٩ هـ (١٠٦٦-١١٣٤ م) ولشمس الدين محمّد بن المزولي (نحو السنة ٧٦٥ هـ ١٣٦٤ م) ولبهاء الدين العاملي (المتوفّى سنة ٩٥٤ هـ ١٥٤٧ م) وغيرها . ولا نعرف كتاباً في الاصطرلاب نُشر بالطبع قبل كتابنا سوى اختصار علم الاصطرلاب للشيخ ابن الشاط طُبع على الحجر في غرناطة سنة ١٨٨٤ والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم (90r)

كتاب العمل (١ بالاصطرلاب صنعة عليّ بن عيسى المنجم قال: اوّل ما يُحتاج اليه من عمل (٢ الاصطرلاب معرفة العضادة ثمّ معرفة اجزاء الارتفاع ثمّ معرفة الحُجرة ثمّ معرفة نطاق البروج ثمّ معرفة المُري ثمّ معرفة المُقنطرات ثمّ معرفة خطوط الساعات ثمّ معرفة مدار السّرطان ومدار الحَمَل ومدار الجدي ثمّ معرفة الكواكب الشمالية ثمّ معرفة الكواكب الجنوبية ثمّ معرفة خطوط الاستواء ثمّ معرفة سَمْت الرأس ثم اخذ الارتفاع (91r) ثمّ وضع الارتفاع على المقنطرات ثمّ معرفة النظير ثمّ معرفة استخراج الساعات ثمّ معرفة الطالع والغارب ووسط السماء ووتد الارض ثمّ معرفة الساعات المستوية ثمّ معرفة قوس النهار ثمّ معرفة قياس الكواكب الثابتة بالليل ثمّ معرفة رؤية الكواكب الثابتة ثمّ معرفة استخراج ما مضى [من الليل من ساعة (٣ بالكواكب ثمّ معرفة مقدار الليل ثمّ معرفة اجزاء

١) ويروى: العلْ ٢) ويروى: من علم

٣) ويروى: من النهار ساعة

ساعات النهار وساعات الليل (١ وكم كل واحد منها من الساعات (٢ المستوية ثمّ معرفة الساعات المستوية بالليل ثمّ معرفة مطالع البلاد ثمّ معرفة مطالع الفلك المستقيم ثمّ معرفة ارتفاع نصف النهار في كلّ يوم بالقياس [ثمّ معرفة ارتفاع كلّ برج من البروج في كل اقليم ثمّ معرفة ارتفاع الكواكب الثابتة في وسط السماء (91°) في كلّ بلد ثم معرفة مقدار نهار الكوكب وليله (٣ ثمّ معرفة الكواكب الثابتة في الشمال والجنوب من سَمت الرأس ثم معرفة الجزء الذي تطلع معهُ الكواكب والجزء الذي يتوسّط معهُ السماء والجزء الذي يغرب (٤ معهُ ثمّ معرفة الاوتاد والبيوت الاثني عشر بالاصطرلاب ثمّ معرفة استخراج درج المطالع من درج السواء ثمّ استخراج درج السواء من درج المطالع ثمّ معرفة الساعات اذا عرفتَ الطالع ثمّ معرفة الطالع اذا عرفت الساعات ثمّ معرفة اي كوكب شئت ان تعرف ارتفاعهُ من الكواكب الثابتة اذا عرفت الطالع وكذلك اذا اردتَ معرفتهُ من الساعات بالليل او بالنهار (٥ ثمّ معرفة ارتفاع نصف النهار في كل يوم وفي كلّ بلد اذا عرفتَ جزء الشمس ثمّ معرفة جزء الشمس اذا عرفت ارتفاع نصف النهار في كلّ بلد ثمّ (92) معرفة عرض البلاد من ميل جزء الشمس في كل بلد ثمّ معرفة الميل اذا عرفت ارتفاع نصف النهار في كل بلد (٦ ثمّ معرفة الميل كله ثمّ معرفة استخراج السمت من الاصطرلاب

التفسير (٧

امّا (العِضادة) فهي التي تكون في ظهر الاصطرلاب ولها شظيّتان (٨ فيهما ثقبتان يُنفَذ بها شعاع الشمس (٩ وتُقاس بها الكواكب

---

١) ويروى: اجزاء الساعات بالليل والنهار
٢) ويروى: بالساعات
٣) هنا في النسخ تقديم وتأخير دون اختلاف يُذكر
٤) ويروى: يعرف   ٥) ويروى: والنهار
٦) ويروى: في كلّ يوم
٧) ويروى: الباب « العمل بما وصفنا »
٨) ويروى: شظيتان   ٩) ويروى: ارتفاع الشمس

(واجزاء الارتفاع) هي الاجزاء المقسومة في ظهره (١ ومنها أ يُعلَم كلّ الارتفاع (٢

(والحُجْرة) هي الحَلَقة المقسومة كلها بثلثمائة وستين جزءًا وهي محيطة بالصفائح والعَنكبوت (٣

(والعَنكبوت) هي الشبكة المخرّقة المرسوم [عليها البروج (٤ والكواكب الثابتة

(ونطاق البروج) هو حدّ منطقة البرج الخارج

(المُري) هو الزيادة التي تكون في رأس الجدي لِماس (٥ الاجزاء التي على الحجرة

(المُقنطَرات) هي الخطوط المقسومة المتضايقة المرسوم ('92) فيما بينها اعداد ما يكون في الاصطرلاب . ان كان سُدُساً فستّة ستّة . وان كان ثُلثاً فثلثة ثلثة . وان كان نصفاً فجزءين جزءين . وان كان تامّاً فجزء جزء .

(وخطوط الساعات) هي الخطوط المتقطّعة القصار المعمولة من مدار رأس السرطان الى مدار رأس الجدي وهي احد عشر خطاً وفيما بينها مكتوب اثنا عشر جزءاً بعدد الساعات

(مدار رأس السرطان) هي الدائرة اللطيفة من الثلث دوائر التي تقاطعها خطوط الساعات . واذا أُدير (٦ رأس السرطان لزمتها لزوماً مستوياً من حيث ما أدرتَهُ

(ومدار الحَمَل) هي الدائرة الوسطى ويلزمها رأس الحَمَل من حيث ما ادرتَهُ

(ومدار الجَدْي) هي الدائرة التي في جوف (٧ الصفيحة وهي اوسع الدوائر الثلث ويُماسها رأس الجدي [من حيث ما (٨ أدرتَهُ

(والكواكب الشماليّة) هي ('93) كلّ ما كان داخلاً في نطاق البروج

(والكواكب الجنوبيّة) كلّ ما كان خارجاً عن نطاق البروج

---

١) ويروى : على ظهر الاصطرلاب
٢) ويروى : يُعرَف الارتفاع كما هو
٣) ويروى : في العنكبوت
٤) ويروى : عملها للبروج
٥) ويروى : لقياس
٦) ويروى : اذا ادرتَ
٧) ويروى : في حرف
٨) ويروى : كيف ما

(خطّ الاستواء) هو الخطّ المستقيم الآخذ من المشرق الى الغرب وهو يقطع الصفيحة على استقامة بنصفين ويمرّ على مركزها .

اخذ الارتفاع – النظير

| اذا اردت أنْ تأخذ الارتفاع فعلِّقْ الاصطرلاب بيمينك وحرِّكْ العضادة بيسارك حتى يدخل شعاع الشمس من الثقب الاسفل منها (١ . فاذا فعلتَ ذلك نظرتَ الى طرف العضادة الصغير المحدَّد على كم وقع من الاجزاء المرسومة في (٢ ظهر الاصطرلاب | تبتدئ بالعدد من الاقلّ الى الاكثر (٣ فما كان فهو ارتفاع الشمس في ذلك الوقت.ا وضع الارتفاع على المقنطرات (٤ على مثل العدد الذي خرج لك من الارتفاع فان كان ذلك في اوّل النهار عددتَهُ من المشرق ثمّ وضعتَ جزء ("93) الشمس عليه وان كان في آخر النهار عددتهُ من الغرب ثمّ وضعتَ جزء الشمس عليه | ونظرتَ الى خطّ الأفق فما وافق من البروج والدرج هو الطالع في ذلك الوقت ان شاء الله (٥

(والنظير) هو الجزء المقابل لجزء الشمس من البرج السابع بعد البرج الذي فيه الشمس ويمرّ على الولاء حتى ينتهي الى البرج السابع ا من ذلك البرج ومثل العدد الذي انتهت الشمس اليه في برجها فذلك موضع النظير (٦

استخراج الساعات (٧

اذا وضعتَ جزء الشمس على مثل الارتفاع الذي وجدتَ فانظر الى النظير (٨

---

١) روت احدى النسخ ذلك مختصرًا بقولها :« اخذُ الارتفاع ان يعلَّق الاصطرلاب وتحوّل العضادة حتى ينفذ الشعاع في الثقبتين جميعاً »

٢) ويروى : على   ٣) ويروى : ويبتدئ من اوّل العدد

٤) ويروى : وان تعدَّ في المقنطرات

٥) هذا ناقص في احدى النسخ

٦) ويروى :« ثمّ عدَّ من ذلك البرج مثل العدد الذي انتهت اليه الشمس في برجها فذلك موضع النظير ان شاء الله »

٧) ويروى :« ما مضى من النهار من ساعة »

٨) ويروى : الى جزء النظير

على ايّ خطّ وقع من خطوط الساعات وعدّ من ابتداء العدّ فالموضع الذي ينتهي اليه وعليه النظير فهو مقدار ما مضى من الساعات (١ وكسورها

استخراج الطالع والغارب وجزء وسط السماء ووتد الارض وخطهما

اذا وضعت جزء الشمس على مثل الارتفاع الذي وجدت فانظر الى خطّ الشرق وهو اوّل (٢ 94) خطّ من خطوط المقنطرات من جهة الشرق فما قطع من البروج والدرج فذلك (برج الطالع وجزؤه)

وان اردت (جزء الغارب) وهو نظير جزء الطالع [فهو ما قطعهٔ خطّ الغارب من البروج والدرج (٢

وان اردت معرفة (جزء وسط السماء) فانظر ما قطعهٔ خطّ وسط السماء من البروج والدرج والدقائق فهو جزء وسط السماء

(وخطّ (٣ وسط السماء) هو الخطّ الآخذ من وسط قُطب الاصطرلاب الى الحُجْرة حتى يقسم عروة الاصطرلاب بنصفين

وان اردت معرفة (وَتَد الارض) فانظر الى ما قطعهٔ خطّ وتد الارض من البروج والدرج فهو جزء وتد الارض

(وخطّ وتد الارض) هو الخطّ المتّصل بخطّ وسط السماء الآخذ من وسط الاصطرلاب الى اسفل الارض على استقامة من خطّ (94) وسط السماء حتى يقطع الحجرة بنصفين ونصفَ الساعات ايضاً بنصفين

معرفة الساعات المستوية وكسورها

وان اردت معرفة (الساعات المستوية) فضَع جزء الشمس على خطّ المشرق وتُعلّم على الموضع الذي يوافيه (٤ رأس الجدي من الحُجْرة . ثمّ أدِرْ جزء الشمس حتى تضعَهُ على مثل الارتفاع الذي وجدت . ثمّ انظر الى الموضع الذي وافاهُ رأس الجدي من الحجرة فتُعلّم عليه . ثمّ عُدّ من الموضع (٥ الذي كنت علّمت عليه حتى

---

١) ويروى : من الساعات المعوجّة   ٢) ناقص في احدى النسخ

٣) ويروى : ومعرفة خطّ

٤) ويروى : وافاهُ   ٥) ويروى : من الموضع الاوّل

ينتهي الى العلامة الأخرى (١ فما كان من العدد فكلُّ خمسة عشر جزءا ساعة مستوية وما لم يتمّ خمسة عشر فكسور من ساعة مستوية

(95') في معرفة قوس النهار

اذا اردتَ ان تعرف (قوس النهار) فضَعْ جزء الشمس على خطّ المشرق ثم تُعلّم على الحجرة في الموضع الذي يوافيه رأس الجدي ثم أدرْ جزء الشمس حتى تضعَهُ على خطّ المغرب ثمّ انظر ما قطعهُ رأس الجدي من العدد الذي حول الحجرة فما كان فهو قوس النهار

قياس الكواكب الثابتة (٢ ومعرفة ما مضى من الليل من ساعة

[اذا اردتَ ذلك فقس ايّ كوكب شئت من الكواكب الثابتة ، وهو ان تعلّق الاصطرلاب ثمّ تنظر في ثُقبتي العضادة بعين واحدة حتى يتبيَّن ذلك الكوكب ثمّ اعرف ارتفاعهُ كما تعرف ارتفاع الشمس (٣

فان اردت معرفة (ما مضى من الليل) فضَعْ رأس ذلك الكوكب على مثل الارتفاع الذي وجدت في المشرق او المغرب ثمّ انظر الى الجزء الذي فيه الشمس من البروج على ايّ خطّ وافى من الساعات فما كان فهو ما مضى من الليل من ساعة (95") .
فان اردت الطالع فالجزء الذي وقع على خطّ الطالع (٤ فهو جزء الطالع . وكذلك الجزء الذي وقع على جزء الغارب (٥ فهو جزء الغارب . والجزء الذي وافى خطّ وسط السماء فهو جزء وسط السماء . والجزء الذي وافى وتد الارض فهو جزء وتد الارض فاعلم ذلك

---

١) يروى : الثابتة

٢) ويروى : الثابتة بالليل

٣) روي هذا التعريف على صورة اخرى في احدى النسخ : « اذا اردت ذلك فانظر ايّ كوكب اردتَ قياسهُ فعلّق الاصطرلاب بيمينك وحرّك العضادة بيسارك ثمّ انظر بعين واحدة حتى ترى الكوكب من الثقبين جميعاً اللذين في أذُنَي العضادة فاذا رأيتَهُ فانظر الى طرف العضادة المحدّد على كم جزء وقع من الارتفاع فما كان فهو ارتفاع ذلك الكوكب الى الجهة التي هو فيها من المشرق او المغرب »

٤) ويروى : على خطّ المشرق ٥) ويروى : على جزء المغرب

في معرفة قوس الليل (١

اذا اردت ذلك فضَعْ جزء الشمس على خطّ المغرب ثمّ علّم على رأس الجدي ثمّ أدِرْ جزء الشمس حتى تضعهُ على خطّ المشرق ثمّ عُدّ من العلامة التي كنتَ علّمتَ عليها الى الموضع الذي انتهى اليه رأس الجدي فما كان فهو قوس الليل . فان اردتَ ان تعلم كم هو من ساعة مستوية فاقسم ذلك العدد على خمسة عشر فما كان فهو ساعات الليل المستوية

(96') معرفة اجزاء ساعات الليل والنهار

اقسم قوس النهار (٢ على اثنتي عشرة ساعة فما كان فهو اجزاء ساعات النهار وان شئت وضعتَ (٣ نظيرَ جزء الشمس على خطّ المغرب ثمّ تعلّم على رأس الجدي وتُدير النظير حتى تضعهُ على ساعة (٤ مضت من النهار ثمّ تنظر كم تحوّل (٥ رأس الجدي فما كان فهو اجزاء ساعات نهار اليوم

[فان اردت معرفة اجزاء ساعات الليل فضعْهُ على خطّ المغرب ثمّ تعلّم على رأس الجدي ثمّ أدِرْ جزء الشمس حتى تضعهُ على ساعة ثمّ تنظر كم بين الخطّ والخطّ (٦ فما كان فهو اجزاء ساعات الليل لذلك الوقت . وان شئت قسمت قوس الليل على اثنيْ عشر جزءا فما كان فهو اجزاء ساعات الليل في ذلك الوقت

معرفة مطالع البلاد

(96") اذا اردت معرفة مطالع البلاد لبرج [من البروج (٧ فضَعْ اوّل ذلك البرج على خطّ المشرق ثمّ علّم على رأس الجدي ثمّ أطلع البرج الذي تريد او الجزء

١) ويروى : مدار الليل
٢) ويروى : النهار او الليل ٣) ويروى : فضَعْ
٤) ويروى : على ساعات ٥) ويروى : كم تحرّك
٦) روي في احدى النسخ هكذا : « معرفة اجزاء ساعات الليل . فقام اجزاء ساعات النهار الى ثلثين فهو اجزاء ساعات الليل فاذا اردت ان تعلم كم هو جزء الشمس فضع جزء الشمس على خطّ المغرب ثمّ علّم على رأس الجدي . . . ثمّ تنظر كم بين العلامة التي علّمتها وبين الموضع الذي انتهى اليه رأس الجدي »
٧) ويروى : او بجزء من البروج

الذي تريد من البرج حتى تضعه على خط المشرق ثم تنظر الى العلامة التي كنت علّمت على الحجرة كم بينها وبين الموضع الذي انتهى اليه رأس الجدي فما كان فهو مطالع ذلك البرج او الجزء الذي أطلعت

معرفة مطالع الفلك المستقيم

ضع اول ذلك البرج على خط الاستواء ثم علّم على رأس الجدي ثم أطلع ما تريد مطالعه (١ من البروج او اجزاء البروج حتى تضعه على خط الاستواء كما وضعت البرج ثم تنظر كم بين العلامة التي كنت علّمت وبين الموضع الذي انتهى اليه رأس الجدي من الحجرة فما كان فهو مطالع ذلك البرج [او الجزء من الفلك المستقيم (٢ (97')] معرفة مطالع الفلك المستقيم من جهة اخرى. وهو ان تضع اول البرج الذي تريد مطالعه على خط وسط السماء ثم تعلم على رأس الجدي ثم تدير البرج او الجزء الذي تريد حتى تضعه على خط وسط السماء ثم تنظر كم بين العلامة التي كنت علّمت وبين رأس الجدي فما كان فهو مطالع ذلك البرج في الفلك المستقيم (٣

معرفة ارتفاع نصف النهار

اذا اردت ذلك بالقياس فارصد الشمس حتى تنتهي [الى غاية الارتفاع فما وجدت (٤ فهو ارتفاع نصف النهار لذلك البرج (٥ في ذلك البلد. فان اردت ارتفاع رأس برج من البروج في اقليم من الاقاليم فانظر الى مدار ذلك البرج ان كان مما يخط في الصفائح (٦ فما وافاه من العدد فهو ارتفاع رأس ذلك البرج في ذلك الاقليم. وان لم يكن مما يخط (97") في الصفائح فأدر رأس ذلك البرج في ذلك الاقليم حتى تضعه على خط وسط السماء ثم تنظر ما وافى من العدد فهو ارتفاع] ذلك البرج (٧ في ذلك الاقليم

---

١) ويروى: إطلاعه

٢) ويروى: او الجزء من البرج فافهم ذلك

٣) كل هذه القطعة ناقصة في احدى النسخ

٤) ويروى: الى غاية ارتفاعها فما وجدت من الارتفاع في ذلك الوقت.

٥) ويروى: في ذلك اليوم ٦) ويروى: في الصفيحة

٧) ويروى: رأس ذلك البرج

معرفة ارتفاع الكواكب الثابتة في الاقاليم

اذا اردت معرفة ذلك في اقليم من الاقاليم فضع رأس ذلك الكوكب على خطّ وسط السماء ثمّ انظر ما وافق من العدد فما كان فهو ارتفاع ذلك الكوكب في ذلك الاقليم فان اردتَ ان تعلم (١ ارتفاعهُ في الشمال او الجنوب عن سَمْت الرأس فانظر [ان كان فيما بين سمت الرأس ووسط الاصطرلاب فارتفاع ذلك الكوكب في الشمال عن سمت الرأس (٢ وان كان فيما بين سمت الرأس الى رأس الجدي فارتفاع ذلك الكوكب في الجنوب عن سَمْت الرأس في ذلك الاقليم. فان اردت الجزء الذي يطالع مع (٣ الكوكب فضع رأس ذلك الكوكب على خطّ الشرق ثمّ انظر ما وافى خطّ الشرق من البروج والدرج فهو الجزء الذي يطالع مع ذلك (98') الكوكب ان شاء الله

فان اردت ان تعرف أ ما يغرب مع الكوكب (٤ فضع راس ذلك الكوكب على خطّ المغرب ثمّ انظر ما وافى المغرب (٥ من البروج والدرج فهو الجزء الذي [يغرب مع الكوكب (٦ . فان اردت ان تعلم الجزء الذي يتوسّط معهُ ذلك الكوكبُ السماء فضَعْ رأس ذلك الكوكب على خطّ وسط السماء ثم انظر ما وافى خطّ وسط السماء من البروج والدرج فهو الجزء الذي [يتوسّط معهُ ذلك الكوكب السماء (٧

معرفة البيوت (٨ الاثني عشر

اعرف الطالع والغارب ووسط السماء ووَتد الارض ثمّ أدِرْ جزء (٩ الطالع الى تحت الارض حتى تضعهُ (١٠ على خطّ ساعتين من خطوط الساعات ثمّ انظر ما وافى

---

١) ويروى: تعرف ٢) هذا كلّهُ سقط من احدى النسخ
٣) ويروى: معهُ
٤) ويروى: الجزء الذي يغرب معهُ ذلك الكوكب
٥) ويروى: خطّ المغرب
٦) ويروى: يغرب معهُ ذلك الكوكب
٧) ويروى: يتوسّط وسط السماء مع الكوكب في ذلك الاقليم
٨) ويروى: إقامة البيوت ٩) ويروى: درجة
١٠) ويروى: تضعها

خطّ وسط السماء (98ʳ) من البروج والدرج [وهو جزء التاسع (١ ثمّ أدر جزء الطالع ايضاً حتى تضعهُ على خطّ اربع ساعات من الخطوط المرسومة للساعات ثمّ انظر ما وافى خطّ وسط السماء من البروج والدرج فهو جزء الثامن (٢ فاحفظهُ . ثمّ أدر نظير جزء الطالع (٣ حتى تضعهُ على خطّ ساعتين من الخطوط المرسومة للساعات . ثمّ انظر ما وافى خطّ السماء من البروج والدرج فهو جزء الحادي عشر [ونظيرهُ الخامس . ثمّ أدر النظير ايضاً على ساعتين أُخريين فما وافى وسط السماء من البروج والدرج فهو جزء الثاني عشر ونظيرهُ السادس فقد قامت لك البيوت الاثنا عشر لانّ الاوّل مثل السابع والثاني مثل الثامن والثالث مثل التاسع والرابع مثل العاشر والخامس مثل الحادي عشر والسادس مثل الثاني عشر فافهم ذلك ان شاء الله (٤ .

معرفة ما يصيب درج السواء من درج المطالع (٥

[اذا اردت ان تعلم ما يصيب درج السواء من درج المطالع (٦ أفصيّر رأس الجدي اوّل برج شئت معرفة ذلك منه (٧ على خطّ المشرق ثمّ علّم على رأس الجدي وأدر (٨ العنكبوت حتى ينتهي الجزء الذي (99ʳ) اردت ثمّ انظر كم جزء [تحوّل من رأس الجدي (٩ فما كان فهو ما يصيب درج السواء من درج المطالع . فان اردت ان تعلم ما يصيب (١٠ درج السواء فضع رأس الجدي في اي موضع اردت من المجرة وتعلّم (١١ عليه . وانظر الى خطّ المشرق ما قطع من البروج

---

١) ويروى: فذلك جزء التاسع ونظيرهُ الثالث
٢) وزاد في احدى النسخ: ونظيرهُ الثاني
٣) وفي احدى النسخ زاد: وهو جزء الغارب
٤) هذا مختصر في احدى النسخ هكذا: « ثمّ أدر النظير حتى تضعهُ على خطّ اربع ساعات ثمّ انظر ما وافق خطّ وسط السماء وهو الثاني عشر ثمّ كل بيت يلقى نظيرهُ »
٥) ويروى: « تحويل درج السواء الى درج المطالع
٦) نقص في احدى النسخ
٧) ويروى: اجعل رأس اي برج اردت معرفة ذلك منهُ
٨) ويروى: ثمّ أدر
٩) ويروى: تحرّك رأس الجدي من المجرة
١٠) ويروى: يكون ١١) ويروى: ثمّ علّم

والدرج فاحفظهُ . ثمّ أدر رأس الجدي بقدر ما تريد من درج الطالع ثمّ انظر الى خطّ المشرق ما قطع من البروج والدرج فهو مـا يصيب درج الطالع من درج السواء.

واذا عرفت الطالع واردت ان تعلم مـا مضى من النهار من ساعة فانظر الى نظير جزء الشمس على اي خطّ وقع من الساعات فهو ما مضى من النهار من ساعة وكسر ساعة . واذا عرفت الطالع واردت معرفـة الارتفاع منهُ فانظر الى جزء الشمس على ايّ خطّ اوافت من المقنطرات (١ (99°) فهو الارتفاع في ذلك البلد وفي ذلك الوقت . واذا علمتَ ما مضى من النهار من ساعة واردتَ ان تعلم الطالع فضعْ نظير جزء الشمس على ما مضى من النهار من الساعات (٢ ثمّ انظر الى خطّ المشرق ما قطع من البروج والدرج فهو جزء الطالع

فاذا علمتَ ما مضى من النهـار من ساعة واردتّ ان تعلم كم الارتفاع فضع نظير جزء (٣ الشمس على ما مضى من النهار من الساعات ثمّ انظر الى جزء الشمس [اي جزء واقى من العدد (٤ فهو الارتفاع في ذلك الوقت . [واذا عرفتَ الطالع بالليل واردت ان تعلم ارتفاع كوكب من الكواكب الثابتة (٥ فضع جزء الطالع على خطّ المشرق ثمّ انظر الى رأس ذلك الكوكب ما واقى من العدد فهو ارتفاع ذلك الكوكب

واذا عرفت ما مضى (100') من النهار والليل من ساعة واردت ان تعرف ارتفاع كلّ كوكب من الكواكب الثابتة من الساعات فان كان ذلك من الليل فضع جزء الشمس على ما مضى من الساعات ثمّ انظر الى رأس ذلك الكوكب ما واقى من العدد [فهو ارتفاعهُ وان كان نهارًا خالفت ذلك ان شاء الله (٦ . وان

---

١) ويروى : وقَعَ المقنطرات ٢) ويروى : من ساعة
٣) ويروى : درجة
٤) ويروى : اي جزء المقنطرات التي تشاكل العدد
٥) ويروى : واذا اردت معرفة ارتفاع كوكب من الكواكب الثابتة من الطالع
٦) يروى فقط : فهو ارتفاع ذلك الكوكب

اردت ان تعرف (١ ارتفاع نصف النهار في كلّ يوم فضع جزء الشمس على خطّ وسط السماء في الاقليم الذي تريد ثمّ انظر مـا وافاه من العدد فما كان فهو ارتفاع نصف النهار في ذلك اليوم

[فان اردت ان تعرف جزء الشمس وقد علمت ارتفاع نصف النهار فانظر الى الربع الذي فيـه الشمس (٢ من ارباع السنة فان كنت في الربيع فأدِر الربع الذي من رأس الحمل الى آخر الجوزاء على خطّ وسط السماء ثمّ انظر اي جزء وافق ذلك الارتفاع الذي قسته فهو موضع (100ª) الشمس في ذلك اليوم . وان كنتَ في الصيف فأدِر الربع الذي من رأس السّرطان الى آخر السنبلة ثمّ انظر ايّ جزء وافق [مثل ذلك العدد (٣ موضع الشمس . وان كنت في الخريف فأدر الربع الذي [من رأس الميزان (٤ الى آخر القوس ثمّ انظر ايّ جزء [وافاه من العدد في مثل ذلك الارتفاع وهو موضع الشمس . وان كنتَ في الشتاء فأدر الربع الذي من رأس الجدي الى آخر الحوت ثمّ انظر ايّ جزء وافق مثل ذلك العدد فهو موضع الشمس

معرفة عرض البلاد من ارتفاع الكواكب

وهو ان تقيس ايّ كوكب شئت من الكواكب التي هي قريبة من القطب في غاية ارتفاعه ثمّ قِسْه في غاية انحطاطه (٥ثمّ خذ ما بين الارتفاعين (101ª) وردّ (٦ نصفهُ على الاقلّ او انقصهُ من الآخر الاكثر فما بلغ او بقي فهو عرض ذلك البلد . واذا اردت ان تعرف عرض الاقليم من قبـل جزء الشمس فانظر كم ارتفاع رأس الحمل او الميزان في ذلك الاقليم فأنقصهُ من تسعين فما بقي فهو عرض ذلك الاقليم

---

١) ويروى: واذا اردت معرفة

٢) ويروى: اذا اردت معرفة جزء الشمس من قبل الارتفاع وقد عرفت الارتفاع فانظر في اي ربع انت . . .

٣) ويروى: مثل عدد الارتفاع

٤) ويروى: من اوّل الميزان

٥) ويروى: انحطاطه

٦) ويروى: وزد

معرفة مَيل الشمس (١

واذا عرفت ارتفاع نصف النهار واردت ان تعلم كم مَيل الشمس في ذلك اليوم فانظر فان كان الارتفاع اكثر من ارتفاع رأس الحمل فألقِ منهُ ارتفاع رأس الحمل فما بقي فهو قدر المَيل في ذلك اليوم. وان كان الارتفاع اقلّ من ارتفاع رأس الحمل فألقهِ من ارتفاع رأس الحمل فما بقي فهو المَيل في ذلك اليوم . وان اردتَ ان تعلم كم المَيل كلهُ فانظر كم ارتفاع (101) رأس الحمل ثمّ انظر كم ارتفاع رأس الجدي او رأس السرطان فما كان بينهما من العدد فهو قدر الميل كلهِ

وان اردتَ ان تعرف السَّمت (٢ فخذ الارتفاع ثم ضَعْ جزء الشمس على ميل الارتفاع الذي اصبت [من جهته (٣ فان فعلت ذلك فانظر ما وافى جزء الشمسِ من الخطوط المرسومة للسمت [فما كان (٤ فهو السمت في الوقت الذي اخذتَ له القياس . وان كان العدد الذي أصبتَ آخذاً من مشرق الاستواء [اي تحت الارض فالسمت بين مشرق الاستواء (٥ الى الشمال . وان كان العدد [الذي اصبت (٦ آخذاً من مشرق الاستواء الى وسط السماء فالسَّمت فيما بين مشرق الاستواء والجنوب . وان كان السمت الذي اصبت فيما بين وسط السماء الى مغرب الاستواء فالسمت فيما بين الجنوب ومغرب الاستواء. وان كان (102) السمت فيما بين مغرب الاستواء الى تحت الارض فالسمت فيما بين مغرب الاستواء والشمال . فليكن استمالك السمت اذا اردت استمالهُ والاستخراج بهِ خطّ نصف النهار على هذه الجهة . وخطّ مشرق الاستواء من خطوط السمت هو الخطّ [الفاصل فيما بين (٧ السَّواوَيْن من المشرق وخطّ مغرب الاستواء من المغرب هو الخط الفاصل فيما بين (٧ السَّواوَيْن ايضاً

---

١) ويروى فقط : « معرفة الميل »
٢) زادت احدى النسخ : بالاصطرلاب
٣) ويروى : من جهة المشرق او المغرب
٤) ويروى : فما كان من عددٍ
٥) هذا سقط من احدى النسخ
٦) ويروى : الذي اخذتَ للسمت
٧) ويروى : الفاصل بين

(١ معرفة قوس نهار كلّ درجة وقوس ليلها

اذا اردت ان تعرف قوس نهار كل درجة وقوس ليلها وهو ما يدور من الفلك من وقت طلوع ذلك الجزء الى وقت غروبه فضعْ ذلك الجزء على افق المشرق واعرف موضع رأس الجدي من اجزاء الحجرة ثمّ أدِرْ ذلك البرج حتى يقوم على قوس المغرب ثمّ انظر كم زال (102°) رأس الجدي من موضعه الذي كان فيه من اجزاء الحجرة فما كان فهو قوس نهارها. وان اردت قوس الليل فأنقص قوس النهار من ثلثمائة وستين فما بقي فهو قوس الليل

معرفة كلّ كوكب يكون ظاهرًا عند ساعات معلومة تمضي من الليل

عليك ان تضع درجة الشمس على ما مضى من الليل من ساعة ثمّ تنظر الى طرف الكوكب الحادّ هل وقع على شيء من المقنطرات ام لا فان وقع على عدد المقنطرات فالتي وقع عليها هو ارتفاعه . وان لم تقع على شيء منها فليس بظاهر في ذلك الوقت . ومعرفة الطالع بالفلك المستقيم من الطالع ببلدك ان تعلم ان الطالع الذي يخرج لك بما اصف من العمل انّما هو الطالع بالفلك (103°) المستقيم في الموضع الذي طوله وطول بلدك فيه من الارض سواء. ثمّ ضع درجة الطالع ببلدك على قوس المشرق ثمّ انظر الى خطّ مشرق الفلك المستقيم ايّ جزء قطع من فلك البروج فهو الطالع بالفلك المستقيم

معرفة الطالع بايّ بلد شئت من الطالع ببلدك

اذا كان بلد طوله من القبّة مثل طول بلدك وعرضه مخالفة لعرض بلدك وان اردت ان تعرف من الطالع ببلدك الطالع بالبلد الآخر فاعرف من الطالع ببلدك الطالع بالفلك المستقيم ثمّ اعمد الى الصفيحة المعمولة لميل عرض البلد الذي تريد ان تعرف الطالع فيه فضع الطالع الذي يخرج لك بالفلك المستقيم على خطّ مشرق الفلك المستقيم من هذه الصفيحة ثمّ انظر الى قوس المشرق (103°) من هذه الصفيحة ايّ جزء قطع من منطقة البروج فهو الطالع في ذلك البلد

---

١) من هنا الى آخر الرسالة ناقص في نسخة مكتبة دمشق

معرفة درجة الشمس من ارتفاع نصف النهار

اذا اردت ذلك فاعرف ارتفاع الشمس في ذلك اليوم في خطّ نصف النهار واعرف في اي نصفَي الفلك الشمس هي أفيا بين اوّل السرطان الى آخر القوس ام فيا بين اوّل الجدي الى آخر الجوزاء . ومعرفة ذلك ان تنظر فان كان ارتفاع نصف النهار جنوبياً والارتفاع يزيد في كل يوم فالشمس فيابين اوّل الجدي الى آخر الجوزاء. وان كان الارتفاع جنوبياً وهو ينقص في كلّ يوم ('104) فانها في النصف الآخر من الفلك. وان كان ارتفاع نصف النهار شماليًا والارتفاع ينقص في كلّ يوم فالشمس فيا بين اوّل الجدي الى آخر الجوزاء . وان كان الارتفاع شماليًا وهو يزيد في كل يوم فالشمس فيا بين اول السرطان الى اجزاء القوس . واذا عرفت هذا فاعمد الى الصحيفة المعمولة لمثل عرض بلدك وأدِر بروج نصف الفلك الذي فيه الشمس على خطّ نصف النهار فايّ اجزاء البروج وافق من المقنطرات من ارتفاع نصف النهار فهو موضع الشمس

في معرفة درجات ممرّ الكواكب الجارية

اعلم انّ زُحل والمشتري والمريخ والقمر توجد في خط نصف النهار ويستطاع ('140) معرفة درجات ممرّها في الوجه الذي اصدر (؟) . فامّا الزهرة وعطارد فلا يوجدان (١ في خطّ نصف النهار في البلاد المسكونة من الارض . فاذا اردت ان تعرف درجات ممرّ [(٢] في خطّ نصف النهار فارصد الكوكب حتى يصير في خطّ نصف النهار وقس [٣] كوكب من كواكب الاصطرلاب في ذلك الوقت واعرف من ارتفاع الكوكب درجة [٤] ففيه درجة ممر الكواكب ومعرفة درجات ممر الكواكب التي في الاصطرلاب ان تضع طرف الكوكب الحادّ على

---

١) ويروى : يوْخذان
٢) وقع شيء من الاصل ولعلّ التتمّة قولهُ : ممرّ كوكب من الكواكب الجارية
٣) هنا ايضًا وقع كلمة او كلمتان من الاصل لعلّهُ : وقس عليه كل كوكب
٤) كذا وفي الاصل بياض

خطّ نصف النهار ثمّ انظر الى خطّ نصف النهار ايّ جزء قطع من فلك البروج فهو درجة ممرّ الكوكب

تمّ كتاب العمل بالاصطرلاب. ٭ وجاء في نسخة دمشق: تمّت اعمال الصفيحة الافاقيه (؟) وسائر اعمال الاصطرلاب والله الموفق للصواب٭

ملحق برسالة العمل بالاصطرلاب

تتمّةً للافادة ننقل هنا فصلاً من كتاب مفاتيح العلوم لابي عبدالله محمّد الخوارزميّ الذي نشرهُ في ليدن المستشرق المرحوم فان فلوتن سنة ١٨٩٥ عنوانهُ « في آلات التنجيم » ذكر فيهِ الأصطرلاب وما ينوط بهِ قال (ص ٢٣٣–٢٣٤)

الأصطُرلاب معناهُ مقياس النجوم .... (الأصطرلاب التامّ) هو المعمول لدرجةٍ درجةٍ . (والنِصف) هو المعمول لدرجتين درجتين. (والثُلث) هو المعمول لثلاث درج ثلاث درج . (والسُدْس) هو المعمول لست درج ستّ درج . (والعُشر) هو المعمول لعشر درج عَشر درج . فامّا (الرُبْع) فانّهُ آلة غير الاصطرلاب على شكل رُبْع دائرة يؤخذ بهِ الارتفاع ويُستخرج الساعات . (العِضادة) شبه مسطرة لها شظيّتان تُسمّيان اللبنتين وفي وسط كلّ لبنة ثُقبة وتكون هذه العضادة على ظهر الاصطرلاب وبها يؤخذ ارتفاع الشمس والكواكب . (المُجرة) هي الحَلَقة المحيطة بالصفائح الملصقة بالصفيحة السُفلى وقد تكون مقسومة بثلاثة وستين قسماً . (الأمّ) هي الصفيحة السُفلى . (العَنكبوت) هي الشبكة التي عليها البروج والنظام من الكواكب الثابتة . (منطقة البروج) في العنكبوت هي المقسومة بدرج البروج . (المُريّ) زيادة عند رأس الجدي يُماسّ المجرة ويسمّى مريّاً لانهُ يُري اجزاء الفلك . (المُقنطرات) هي الخطوط المقوّسة المتضايقة المرسومة فيما بينها اعداد درج الارتفاع في الصفيحة وفوقها يجري العنكبوت . (خطوط الساعات) هي الخطوط المتباعدة وهي تحت المقنطرات . (خطّ الاستواء) هو الخطّ المرسوم الآخذ من المشرق الى المغرب المارّ على مركز الصفيحة . (خطّ نصف النهار) هو الخطّ الذي يقطع خطّ الاستواء على زوايا قائمة وابتداؤهُ من العروة . (الاصطرلاب الكُريّ) هو كُرة فوقها نصف كرة مشبّكة بمنزلة العنكبوت من الاصطرلاب المسطّح . (الفَرَس) هو قطعة شبيهة بصورة الفرس يُشدّ بها العنكبوت على الصفائح . (القُطب) هو الوَتِد الجامع للصفائح والعنكبوت . (انواع الاصطرلابات) كثيرة واساميها مشتقّة من صورها كالهلاليّ من الهلال والكُريّ من الكرة والزَورقي والصَدَفي والمُسرطَن والمُبطَّح واشباه ذلك . (آلات الساعات) كثيرة فمنها الطرجهارة . ومنها دبّة الساعات ومنها الرخامة ومنها المكحلة (راجع المشرق ١٠: ٧٥) ومنها اللَوح . (وذات (الحَلَق) هي حَلَق متداخلة يُرصَد بها الكواكب . (الكُرَة) معروفة من آلات المنجّمين وبها تُعرف هيئة الفلك وصور الكواكب وتسمّى ايضاً (البَيضة)

يحيى النحوي . من هو ومتى كان ؟

حل مشكل تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

قياماً بوعدنا في العدد السابق نتقدم على درس مسألة حارت فيها عقول الكتبة المحدثين ولعلهم زادوها تعقُّداً بابحاثهم وهي مسألة يحيى النحوي الذي روى عنهُ المؤرخ المسلم جمال الدين القفطي (راجع المشرق ١٣ : ٩٥٧) انهُ ادرك ايام العرب وفتحهم لمصر وانهُ دخل على عمرو بن العاص اميرهم فسألهُ ان يجود عليهِ بخزائن كتب اليونان التي جمعها بطلميوس المعروف بفيلاذلفوس فاستشار عمرو في امرها الخليفة عمر بن الخطّاب فتقدَّم بحرقها بانياً حكمهُ على برهان ذي حدَّين « فاما انها توافق كتاب الله ففيهِ عنها غنى واما فيها ما يخالفهُ فلا حاجة اليها »

فهذه الرواية قد سبق لنا البحث في صحتها دون القطع بها في ردودنا على محمد طاهر التنير كاتب مجلة الكوثر (راجع المشرق ١١ : ١٥٨و٢٦٦ ولا سيما ٣٨٨) وابرزنا الادلة التي تؤيدها مع ذكر الحجج التي من شأنها ان تنفيها او تضعفها . وكان اخصّ الاسباب الموجبة لريبنا انَّ العلماء يشكُّون في كون يحيى النحوي عاش الى ايام العرب لانهُ لو ادرك زمانهم لكان بلغ نيفاً و١٦٠ سنة وهذا مما يندرُ جداً ولا يصحّ القول بهِ الّا اذا اثبتتهُ الاسانيد الصادقة . ومن ثمَّ انكر كثيرون صدق هذه الرواية وعدُّوها من الخرافات ونسبوها اوّلاً الى ابن العبري زاعمين انَّ التعصُّب الديني حدا بهِ الى روايتها في كتابهِ مختصر تاريخ الدول . وقد بيَّنا في مقالاتنا السابقة انَّ المسلمين سبقوهُ الى ذكرها ورووا للعرب من حرق الكتب واتلافها في بلاد اخرى ما يؤيد خبر حريق مكتبة الاسكندرية . ومهما كان من الامر بقي المشكل التاريخيّ بصدد يحيى النحويّ فتُرى من هو ؟ ومتى عاش ؟ وهل ادرك الفتح الاسلاميّ لمصر حتى عرفهُ عمرو بن العاص ؟

فالجواب عن هذه الاسئلة يقضي بمراجعة كلّ ما كُتب عن يحيى النحوي وما رواهُ قدماء المؤرخين عن وجدانهِ وترجمة حياتهِ وتآليفهِ

وما ينبغي بادئ بدءٍ التنبيه اليهِ انَّ الكتبة اليونان لم يذكروا احداً باسم يحيى

النحوي وانّا ذكروا باليونانيّة رجلًا شهيرًا باسم يوحنَّا فيلوپونوس Ἰωάννης ὁ) (Φιλόπονος» ومعناهُ «يوحنَّا الحريص على الشغـل» وقد دعوهُ ايضاً بيوحنَّا الغراماطيقي» Ἰωάννης ὁ Γραμματικός» وكذلك السريان كيوحنَّـا الأسيوي وميخائيل الكبير وابن العبري دعوهُ يوحنَّا او يوحنـان فيلوفونس ويوحنان غرامطيقوس (ܝܘܚܢܢ ܦܝܠܘܦܘܢܘܣ ܓܪܡܛܝܩܘܣ) . وهـذا ما يذكرون عنهُ قالوا انَّ يوحنَّـا فيلوپونس كان اصلهُ من مدينة الاسكندريّة واحد تلامذة الفيلسوف أمونيوس بن هرمياس الذي ازهر في اواخر القسم الثاني من القرن الخامس وكان يعلّم في الاسكندريّة نحو السنـة ٤٨٠ وعاش الى اوائل القرن السادس. فانصبَّ يوحنَّـا على علوم اليونان حتى برع في كتب ارسطو وافلاطون وألَّف في الفلسفة كتباً عديدة تشهد لهُ بطول الباع صبر بعضها على آفات الدهر فنُشرت طبعاً في البندقيّة من ذلك شروحهُ على كتب ارسطاطاليس في انالوطيقا (طُبع سنة ١٥٠٩) وفي النفس (سنة ١٥٣٥) وفي ولادة الحيوانات (سنة ١٥٢٦) وكتاب الظواهر (سنة ١٥٥١) وكتاب فيزيكـا او الطبيعيّات (سنة ١٥٢٧) وتفسيرهُ على كتاب الفيلسوف نيكوماخس في الحساب ولهُ ردّ في ١٨ كتاباً على الفيلسوف الوثني پروكارس في حدوث العالم طُبع سنة ١٥٣٥ ونُقل الى اللاتينيّة فطبع في ليون سنة ١٥٥٧ ولهُ ردّ آخر على الفيلسوف جامبليك في نفي الاصنام

وهذه الكتب التي ذكرها اليونان عرفها العرب وعدّدها ابن النديم في الفهرست بل ذكر غيرها ايضاً كما سترى وهو هناك يدعو يوحنَّا فيلوپونس بيحيى النحوي كانَّهُ ترجم الى العربيّة الاسم اليونانيّ السابق ذكرهُ فروى (ص ٢٤٩) انهُ فسَّر كتابي ارسطو المعروفين بانالوطيقا الاولى والثانية وكتاب باري ارمنياس وكتاب السماع الطبيعي (ص ٢٥٠) وكتاب الكون والفساد (ص ٢٥١) قال ابن النديم: «شرح تامّ والعربيّ دون السرياني في الجودة». وكتاب الثاني عشر مسئلة التي نقضها يحيى النحوي على برقلس (٢٥٣) واردف ابن النديم: «ذكر يحيى النحويّ في المقالة الاولى من النقض عليهِ انـهُ كان في زمان دقلطيانوس القبطي بل على رأس ثلثمائة ملكهِ هذا صحيح». وكتاب في ان كلّ جسم متناهٍ فقوّتهُ متناهية مقالة وكتاب الردّ على ارسطاليس (كذا) ست مقالات. وكتاب ما بال لارسطاليس

(ص ٢٥٤) . وكتاب تفسير اعضاء الحيوان (ص ٢٦٤) .

فكلّ هذه كتب فلسفيّة كتبها يوحنّا فيلوبونوس باليونانيّة وذكرها بعد ابن النديم جمال الدين ابن القفطيّ في تاريخ الحكماء (٣٥٦)

ومما يستفاد من كتبة اليونان والسريان والعرب عن يوحنّا المذكور انّهُ كان يعتوني النحلة كما ورد في تاريخ يوحنّا الاسيوي وميخائيل الكبير والتاريخ الكنسيّ لابن العبريّ . قال ميخائيل (ص ed. Chabot. II, 244): « وفي هذا الزمان (اي نحو ٥٥٠ للمسيح) عُرف يوحنّا فيلوبونس » . ثمّ روى (ص ٢٥٥) كيف اتّبع بدعة القائلين بانّ في الله تعالى فضلاً عن الاقانيم الثلاثة ثلاثة جواهر وطبائع مختلفة وهي البدعة المعروفة بالتثليث (Trithéisme) التي كان ابتدعها يوحنّا المعروف باسقصناغيس (ܐܣܩܘܣܢܓܣ) فحرم بسببها وقد وقعت كتبهُ في ايدي يوحنّا فيلوبونوس فألّف فيها كتاباً ليدافع عن تعاليمها . فلمّا عرف بهِ الاسكندريون حرموهُ كما حرمهُ رؤساء اديرة بلاد العرب نحو السنة ٥٧٣ (المشرق ١٥ : ٣٠٧)

وما رواهُ هنا الكتبة اليونان والسريان عن بدعة يوحنّا فيلوبونوس اثبتهُ ايضاً العرب قال ابن النديم (ص ٢٥٣) :

« كان يحيى تلميذ ساواري وكان اسقفاً في بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبيّة ثم رجع عمّا يعتقدهُ النصارى في التثليث فاجتمعت الاساقفة وناظرتهُ فغلبهم واستعطفتهُ وآنستهُ وسألتهُ الرجوع عمّا هو عليهِ وترك اظهارهِ فاقام على ما كان عليهِ وابى ان يرجع فاسقطوهُ »

ومثلهُ روى جمال الدين ابن القفطيّ مع بعض اختلاف في الرواية (قال ص ٣٥٤) :

« يحيى النحويّ المصري الاسكندراني تلميذ ساواري كان اسقفاً في كنيسة الاسكندريّة بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبيّة ثم رجع عمّا يعتقدهُ النصارى في التثليث لمّا قرأ كتب الحكمة واستحال عندهُ جعل الواحد ثلثة والثلثة واحداً ولمّا تحقّقت الاساقفة بمصر رجوعهُ عزّ عليهم ذلك فاجتمعوا اليهِ وناظروهُ فغلب وزيّف طريقهُ فعزّ عليهم جهلهُ واستعطفوهُ وآنسوهُ وسألوهُ الرجوع عمّا هو عليهِ وترك اظهار ما تحقّقهُ وناظرهم عليهِ فلم يرجع فاسقطوهُ عن المنزلة التي هو فيها بعد خطوب جرت »

وقال ابن العبري ملخّصاً ذلك في كتاب مختصر تاريخ الدول (ص ١٧٥) :

« وفي هذا الزمان اشتهر بين الاسلاميين يحيى المعروف عندنا بغرماطيقوس اي النحوي وكان اسكندريًا يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبيّة ويشيد عقيدة ساوري. ثم رجع عمّا يعتقده النصارى في التثليث فاجتمع اليهِ الاساقفة بمصر وسألوهُ الرجوع عمّا هو عليهِ فلم يرجع فاسقطوهُ عن منزلتهِ »

فكلّ هذه النصوص متناصرة في ايضاح امر ثانٍ من امور يوحنّا فيلوپونوس اي تشيُّعهُ لليعقوبيّة ثمّ انتصارهُ لبدعة جديدة في الثالوث الاقدس اذ قسم الثالوث ونسب الى جوهرهِ الوحيد ما لا يصحّ الّا على اقانيمهِ عزّ وجلّ . وقد عدّد كتبة اليونان والسريان والعرب انفسهم التآليف التي وضعها في آرائهِ الدينيّة . فبعضٌ منها مستقيمة الرأي كتأليفهِ في ستّة ايام الخليقة الذي ذكرهُ فوطيوس في مكتبتهِ الشهيرة (Bibl. Photii, cod. 43 et 240) وكتابهِ في الفصح . وكتابهِ في الردّ على تاودورس المصّيصي (Id. ap. Migne, 8ᵃ, 9ᵇ) ولعلّهُ الكتاب الذي دعاهُ صاحب الفهرست (ص ٢٥٤) بالردّ على نسطورس . وبعضها منافٍ للتعاليم الصحيحة ككتابهِ عن الثالوث الاقدس الذي ذكرهُ القديس يوحنّا الدمشقي في مقالته عن البدع (Migne, P. G. t. 94, p. 743) وكتابهِ ضد المجمع الخلقيدوني (Photius, cod. 55 et 75) وكتابهِ في قيامة الاجساد (Id. cod. 21)

هذا ما شاع من امر يوحنّا فيلوپونوس واتّفق فيهِ تقريباً اليونان والسريان والعرب الّا في قول العرب بانّهُ « كان اسقفًا » ولم يقل بهِ احد غيرهم . وممّا تفرّدوا بهِ قولهم بانّهُ عاش الى زمن فتح مصر وعرف فاتحها عمرو بن العاص قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٥٤) : « وعاش (اي يحيى النحويّ) الى ان فُتحت مصر على يدي عمرو بن العاص فدخل اليهِ واكرمهُ ورأى لهُ موضعاً ». وقال جمال الدين ابن القفطيّ (ص ٣٥٤) : « وعاش (اي يحيى النحوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندريّة ودخل على عمرو وقد عرف موضعهُ من العلم واعتقادهُ فلازمهُ وكان لا يكاد يفارقهُ » الى آخر ما رويناهُ سابقاً في المشرق (١٣ : ٩٥٧) من قصّة مكتبة الاسكندريّة وحريقها . فليُراجع . ومثلهما قال ابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ١٧٥) : « وعاش الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندريّة ودخل على عمرو . . . » الى آخر ما هناك وهو ملخّص عن ابن القفطي بلا مراء

ويستعمل ابن العبري نفس عباراته . والعجب ان ابن العبري لم يرو هذا الخبر في تواريخه السريانية الكنسية والدنية التي طبعها العلماء ابلوس (J. B. Abbeloos) ولامي (T. J. Lamy) وبيجان اللعازاري ما يدلّ على ان ابن العبري لم يجد شيئاً من ذلك في كتب السريان

هذا وقد تفرّد العرب عن اليونان والسريان في امر آخر وهو ذكرهم كتاباً في التاريخ ليوحنّا النحوي رووا منه بعض قطع منها نبذة رواها ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٦) تحت هذا العنوان « ذكر اوّل من تكلم في الطبّ » اولها : « على رأي يحيى النحوي وجد في تاريخه على الولاء وناسة الى ايام جالينوس ثمانية الخ » واتبعها بسرد اسماء الاطباء . وبعد ان روى كلاماً عن « غير كلام يحيى » قال (ص ٢٨٧) : « رجعنا الى كلام يحيى » فذكر قوله عن جالينوس وبقراط . وفي الصفحة (٢٨٩) منه قال : « ومنذ وفاة جالينوس الى عهدنا هذا على ما اوجبه الحساب الذي ذكره يحيى النحوي واسحاق بن حنين بعده تسع مائة سنة » ثمّ نقل عن تواريخ يحيى النحوي ما كتبه في مدح ذياسقوريدس . وكذلك ابن القفطي نقل شيئاً من التاريخ المنسوب الى يحيى النحوي (ص ١١–١٢) في ذكر اوّل من اظهر الطبّ ثمّ نقل (ص ٩٢) ما ورد من ذلك في الفهرست بحرفه دون التنبيه اليه كما اثبتنا ذلك في ما نقله عن ابي قاسم صاعد الاندلسي في كتاب طبقات الامم . وكذلك نقل عن الفهرست (ص ١٨٣) ما رواه ابن النديم عن تاريخ يحيى النحوي في مدح ذياسقوريدس

وكما تفرّد العرب عن سواهم من السريان واليونان في نسبة التاريخ ليوحنّا النحوي كذلك نسبوا اليه دون غيرهم تشاغله بالطبّ فقال ابن النديم (ص ٢٥٥) :

« وله (اي ليحيى النحوي) تفسير شيء من كتب جالينوس في الطبّ » . . . قال وذكر يحيى في المقالة الرابعة من تفسيره لكتاب السماع الطبيعي كلاماً في الزمان فضرب مثالاً قال فيه « مثل سنتنا هذه وهي سنة ثلث واربعين وثلاثمائة لدقلطيانوس القبطي » فهذا يدلّ على انّ بيننا وبين يحيى النحوي ثلاثمائة سنة ونيف ويجوز ان يكون فسّر هذا الكتاب في صدر عمره لانه كان في ايام عمرو بن العاص »

وقد نقل جمال الدين ابن القفطي (ص ٣٥٦) كجاري عادته هذا الكلام من

الفهرست دون التنبيه الى اصله . لكنّه اتبعهُ بفصل غريب عن يحيى النحويّ نرويهِ هنا بحرفهِ (ص ٣٥٦–٣٥٧) وهو قد نقلهُ عن تاريخ ضاع اليوم لعبيدالله ابن بختيشوع قال :

« وذكر عُبيد الله بن جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع الطبيب انّ اسم يحيى ثاسطيوس(١ قال وكان قويًّا في علم النحو والمنطق والفلسفة. . . قال وإن كان (يعني يحيى) قد فسّر كتبًا كثيرة من الطبّيات فقوّته في الفلسفة أُلحِقَ بالفلاسفة لأنّه أحد الفلاسفة المذكورين في وقته وسبب قوّته في الفلسفة هو أنّه كان ملّاحًا يعبّر الناس في سفينته وكان يحبّ العلم كثيرًا فإذا عبر معه قوم من دار العلم والمدرس الذي بجزيرة الاسكندريّة يتحاورون فيما مضى لهم من النظر ويتفاوضونه فيسمعه فتَشْ نفسهُ للعلم فلمّا قوي رأيُهُ في طلب العلم فكّر في نفسه وقال : قد بلغتُ نيفًا وأربعين سنة وما ارتضتُ بشيء ولا عرفتُ غيرَ صناعة الملاحة فكيف يُمكنني أن أتعرّض لشيء من العلوم وفيما هو يفكّر إذ رأى نَمْلَة قد حملت نواة تمرة وهي دائبة تصعد بها فوقعت منها فعادت وأخذتها ولم تزل تجاهد مرارًا حتى بلغت غرضها واشتهت إلى مقصدها فلمّا رآها يحيى النحويّ قد بلغت بالمجاهدة غرضها قال : إذا كان هذا الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة والمناصبة فبالحري أن أبلغ غرضي بالمجاهدة . فخرج من وقته وباع سفينته ولزم دار العلم وبدأ يتعلّم النحو واللغة والمنطق أبدع في هذه الأمور لأنّهُ أوّلُ ما ابتدأ بها فنُسِبَ إليها واشتهر بها ووضع كُتُبًا كثيرة منها تفاسير وغيرها »

هذا مجمل ما نعلمهُ عن يحيى النحويّ يضاف اليهِ قول جمال الدين ابن القفطي (ص ٥٥) انّ اوليطراوس الطرسوسيّ الطبيب الملقّب بالهلال ثمّ (ص ٥٦) ارياسيوس الطبيب الاسكندراني ثمّ (ص ٢٦٢) قوليس الاجانيطيّ الطبيب كانوا بعد يحيى النحويّ في اوّل الملّة الاسلاميّة

فبعد هذه المعلومات يجب ان نستخلص منها صادق الخبر عن يحيى النحوي وننفي ما لا يمكن اثباته بمحكّ الانتقاد فنقول :

(اوّلًا) يتّفق الكتبة اليونان والسريان والعرب في اثبات وجود رجل يُعرف بيوحنّا فيلوبونس اي المجتهد او يوحنّا غراماطيقوس وهذا الاسم الثاني قد عُرّب بالنحوي فسماهُ العرب يحيى النحويّ

(ثانيًا) يتّفقون ايضًا في تعريف صفاتهِ فهم مجمعون على القول بانّهُ كان

---

١) والصواب ان ثاسطيوس الفيلسوف عاش في أيّام يحيى النحويّ

فيلسوفاً اسكندريّ الاصل واسع المعارف الفلسفيّة مفسّراً بالونانيّة لكثير من تآليف ارسطو

(ثالثاً) يروون ايضاً بالاتّفاق انهُ كان نصرانيّاً يعتقد اعتقاد اليعاقبة معاكساً تعاليم المجمع الخلقيدونيّ في طبيعتي المسيح الالهيّة والانسانيّة

(رابعاً) ولا يختلفون بنسبة بدعةٍ جديدة اليه سواء. قالوا انّهُ هو السابق اليها كما ظنّ الكتبة اليونان او انهُ انتصر لها بعد مبتدعها المسمّى يوحنّا اسقصانغيس كما روى السريان فحُرم كلاهما بسببها وهي بدعة القائلين بتثليث الجوهر الالهي فضلًا عن اقانيمه

(خامساً) بل اتّفقوا ايضاً تقريباً بتعيين زمن ظهور يوحنّا فيلوبونوس فانّ اليونان يجعلونهُ من تلامذة أمّونيوس بن هرمياس الذي كان يعلم في الاسكندريّة نحو السنة ٤٨٥ الى اواخر القرن الخامس واوائل السادس. وكذلك يذكرون مناظرتهُ للفيلسوف سِنبليقيوس وذلك قبل السنة ٥٢٩ للمسيح . لانّ سِنبليقيوس خرج في تلك السنة الى بلاد الفرس . ويؤخذ من كلامهم انّ هذه السنة ٥٢٩ انتهى يوحنّا من تأليف ردّه على الفيلسوف بروقلس في قدم العالم كما ذكر في آخر كتابه . اما السريان والعرب فيقولون انّهُ كان تلميذاً لشاوراي او ساوراي اعني ساويرس بطريرك انطاكية الدخيل واوّل بطاركة اليعاقبة الذي اشتهر بنصرة المذهب اليعقوبي بين السنة ٥١٠ الى سنة وفاته ٥٤٠ للمسيح (١ . فينتج من ذلك انّ مولد يوحنّا فيلوبونس لا يمكن تأجيلهُ الى ما فوق السنة ٤٨٠ للمسيح

(سادساً) تفرّد العرب وحدهم بقولهم انّ يحيى النحويّ كان اسقفاً بمصر في الاسكندريّة او في احدى مدنها وهو قول لا يصدق مطلقاً عن يوحنّا فيلوبونس اذ لم يدخل المذكور في سلك الكهنوت. كذلك لم يقل غير العرب انّ يحيى النحوي اشتغل بالطبّ وألّف فيه . وهم وحدهم ذكروا لهُ تأريخاً ورووا منهُ بعض المقاطيع

(سابعاً) امّا بلوغ يحيى النحويّ الى زمن الفتح العربيّ لمصر الذي جرى السنة ١٨ للهجرة (٦٤٠) فهو ايضاً من مرويّات العرب وحدهم او من نقل عنهم كابن

---

١) وقيل انهُ توفي سنة ٥٣٦ . وقد جاء في العدد السابق ٥٢٠ بالغلط

العبري · وهذا من الامور التي لا يمكن التسليم بها بلا سند اذ توجب القول بأنَّ يحيى النحوي عاش من السنة ٤٨٠ الى السنة ٦٤٠ فتكون حياته وقت الفتح ١٦٠ سنة على الاقل · وان لم يكن هذا مستحيلاً الّا انَّهُ نادر جداً وان ثبت فعلاً اشار اليهِ الكتبة لغرابته وليس احد من الكتبة ذكر انَّ يحيى فيلوبونس كان من المعمرين فادرك سنّاً كهذا

حلّ المشكل

فان كان الامر كذلك ولا يمكن التسليم بان يوحنا فيلوبونوس عاش الى زمن العرب أُنتزل اذن ان كتبة العرب اخترعوا رواية لا صحة لها فخدعوا بالسراب مع انَّ هؤلاء الكتبة قريبو العهد من الفتح الاسلامي لمصر لا سيما ابا الفرج ابن النديم الذي كتب بعد فتح عمرو بن العاص لمصر بثلثمائة وخمسين سنة فقط وكتابهُ الفهرست نسيج وحدهِ في الدقة وسعة المعارف يدلُّ على انهُ كان متمّاً بمكتبة كبيرة ذات التآليف النادرة المفقودة اليوم · ومثلهُ جمال الدين ابن القفطي الذي جاء في ترجمته انه كان حاصلاً على مكتبة كبيرة

كلّا ولا بُدَّ من حلّ المشكل على وجه آخر سبقنا اليه صاحبا المقتطف في سنتهما الثامنة والثلثين سنة ١٩١١ (ص ٢٣٦ و ٤٤٢) حيث لخصا ما كتبهُ اليهما "جرجس افندي فيلوثاوس عوض من ادباء الاقباط المدققين في التاريخ"

فنحن مع شكرنا لمن اماط القناع عن وجه الحقيقة نعود الى الامر لاثباته واضافة الادلة اليه فنقول :

(اوّلاً) لا شكَّ في انه وجد رجلان اطلق عليهما العرب اسم يحيى النحوي ·

(ثانياً) الواحد وهو الشهير بيوحنا فيلوبونس اي الحريص على الشغل ازهر منذ الشطر الثاني للقرن السادس وكان يُعرف عند اليونان بالقراماطيقي الذي ترجمهُ العرب بالنحوي وكان الاحرى بهم ان يعرّبوها بالاديب اذ القراماطيقي عند الرومان واليونان كان يشمل عدّة فنون حتى الانشاء والبيان والخطابة والكتابة وبوحنا هذا اشتهر خصوصاً بالفلسفة ثمَّ انكبَّ على درس اللاهوت والعقائد الدينية فضلَّ عن الايمان اذ تبع اضاليل اليعاقبة والمونثليين اي ذوي المشيئة الواحدة وانتصر لبدعة

جديدة جعلت في الله تعالى ثلاثة جواهر او كيانات مختلفة فاسقطوهُ هو وبدعتهُ اما زمن موتهِ فمجهول . وعلى كلّ حال ينبغي القول بانّهُ توفي قبل الهجرة بنحو اربعين سنة

(ثالثاً) امّا الثاني الذي عُرف بيحيى النحويّ فهو كاتب مصريّ عاش قبل الفتح المصريّ وبعدهُ زمناً طويلاً وهو يُدعى يوحنّا النقيوي او النخوي اسقف نخو المعروفة عند اليونان بنيقيوس او نيكيو (Nikiou) وعند اللاتين باسم Niciu او Nichium وقد اتّسع بوصفها العلّامة الشهير بمعارف الشرقيّة كاترمار في كتاب مذاكراته عن مصر (Quatremère: *Mémoires sur l'Égypte*, I,423) والثبت هناك انّها هي مدينة بشاتي (Pschati) ثمّ عُرفت باسم ابشاي وعلى رأي كتبة المقتطف « انها مدينة قرب منوف في مديريّة المنوفيّة من اعمال القطر المصري » فتصحّف اسم يوحنّا النخويّ على نوعين اوّلًا بان أُبدل اسم يوحنّا بيحيا وذلك لانّهم قديماً كانوا يكتبون « يحنّا » وكانوا يهملون النقط فصارت « يحنا » فقرأوها « يحيا » . وثانياً بان ابدلوا « النخوي » للسبب عينهِ « بالنحوي »

(رابعاً) وزاد وهمهم بان وجدوا بين يوحنّا فيلوبونس (اي يحيى النحوي) ويوحنّا اسقف نخو (يحيى النخوي) تشابهاً في بعض الاحوال اذ كان كلاهما مصريًا وقبطيًا وكاتبًا وكلاهما ايضًا مدافعًا عن المذهب اليعقوبيّ وقد حكم الاساقفة على كليهما لاسباب مختلفة فجعلوا الاسمين لمسمّى واحد

(خامساً) ويثبت قولنا ما وجدوهُ من آثار يوحنّا اسقف نخو او نيقيوس واوّل من اورد شيئاً من تاريخهِ ساويروس ابن المقفّع في تاريخهِ لبطاركة الاسكندريّة اذ ذكرهُ في تاريخ يوحنّا السمنّودي (ed. Seybold, I, 129-130) حيث روى انّ الابا (الانبا) حنّا اسقف نيقيوس حضر وفاة البطريرك المذكور سنة ٦٨١ للمسيح واجتمع مع بقيّة الاساقفة لانتخاب خلفهِ المسمّى جرجه واذ لم يرضَ بهِ عبد العزيز بن مروان والي مصر اختاروا بدلًا منهُ المسمّى اسحق فبقي ثلاث سنين ومات (٦٨٣ م) وخلفهُ سيمون فتولّى على كنيسة الاسكندريّة سبع سنين . وفي ايامهِ اجتمع الاساقفة لمحاكمة يوحنّا اسقف نيقيوس (يحيى النخوي) فاوجبوا عليهِ القطع عن الاسرار والسبب انّهم كانوا سلّموهُ تدبير اموال الديارات وسياسة الرهبان

في مصر فبلغهُ انَّ بعض الرهبان اتوا بذنب كبير فعاقب واحدًا منهم وضربهُ ضربًا مبرّحًا مات منهُ بعد عشرة أيام . لكنَّ يوحنا غضب على الاساقفة الذين قطعوهُ واختاروا آخر بدلًا منهُ وتوعدهم بغضب الله عليهم قال ابن المقفع (ص ١٣٥):
«وبعد أيام قلائل تمَّ كلام الاسقف القديس على الاساقفة المساعدين على قطعهِ»

ثمَّ وجدوا ليوحنا هذا تاريخًا كتبهُ بعد فتح العرب لمصر بسنين قليلة وفيهِ يذكر تفاصيل ذلك الفتح كمؤرخ عيانيّ وما جرى بين الروم والعرب من المناوشات والمعارك الى ان استقرَّ الامر للمسلمين. فهذا التاريخ كتبهُ يوحنا اسقف نيقيوس باليونانية فُقد الاصل لكنَّ احد الاقباط كان عرّبهُ بتصرُّف واختصار وهذا التعريب نفسه اخذته ايدي الضياع ولعلَّهُ موجود في زوايا بعض اديرة الصعيد. وكان احد الاحباش عمد الى تلك الترجمة العربية فنقلها الى الحبشيَّة. فهذه الترجمة الحبشيَّة يوجد منها نسختان في مكتبة باريس العموميَّة فنشرها قبل ٣٠ سنة المستشرق الفرنسوي زوتنبرغ (H. Zotenberg) ونقلها الى الفرنسويَّة وعرَّف خواصّها وما يستفاد منها لتعريف المؤلف وفتح العرب لمصر

هذا ما يُعرَف من احوال يوحنا اسقف نيقيوس (يحيى النحويّ) الذي عرف العرب وعاش نحو اربعين سنة بينهم بعد استيلائهم على مصر ولا بُدَّ انَّهُ يكون اختلط بهم بصفة كونهِ احد زعماء النصارى واساقفتهم ووكيل اديرة رهبانهم فاحتاج اليه العرب كوسيط بينهم وبين مواطنيهِ الاقباط وقد ذكر في تاريخهِ دخولهم الى مدينة نيقيوس او نحو كرسي ابرشيَّتهِ

وكذلك يجب القول انَّ معرفتهُ بالتاريخ واخبار العرب استوقفت انظار فاتحي مصر فآنسوا بهِ ولاسيما زعيمهم عمرو بن العاص . ولعلَّ المنافرات الجارية بينهُ وبين اهل ملَّتهِ زادتهُ تقرُّبًا من العرب ونفورًا من قومهِ

ويظهر من تاريخهِ انهُ كان مواليًا لقورس البطريرك الاسكندري زعيم الخلقيدونيين الذي يدعوهُ العرب بالمقوقس وناصرهم في فتح الاسكندريَّة. فهذه الصداقة قرَّبت يوحنا اسقف نيقيوس (يحيى النحويّ) من العرب ومن عمرو رئيسهم. وكذلك في تاريخهِ المذكور نبذة عن اوَّل من وضع الطبّ كما روى ابن النديم

فبالحالة هذه نفهم كيف امكن كتبة العرب ان يخلطوا بين رجلين ويجعلوهما

شخصاً واحداً نسبوا اليهِ اعمال الاثنين . فالفيلسوف الاسكندريّ مفسّر ارسطو هو يحيى النحويّ اليونانيّ والمبتدع ببدعة تثليث الطبائع في الله عزَّ وجلَّ . والاسقف المؤرخ صاحب عمرو بن العاص الذي عاش الى زمن العرب وخالطهم هو يحيى النحويّ اسقف نيقيوس او نحو

ومنهُ يتَّضح قول صاحب الفهرست بعد نقلهِ شيئاً من اقوال يحيى النحويّ : «وهذا يدلّ على انَّ بيننا وبين يحيى النحويّ ثلثمائة سنة ونيّف ... لانهُ كان في أيام عمرو بن العاص» وقد قلنا انَّ صاحب الفهرست ألَّف كتابهُ سنة ٣٧٧ للهجرة اي ٩٨٧ للمسيح فان طرحنا ٣٠٠ من ٩٨٧ بقي ٦٨٧ وهذا يوافق ما ورد في تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفَّع عن زمن يوحنا اسقف نحو

وان سأل سائل وهل يُعرَف ليوحنا هذا تآليف فلسفيَّة فجوابنا ان ذلك من المحتمل وفي تاريخهِ ما يدلّ على معرفتهِ للآراء الفلسفيَّة وعلى كل حال انَّ اشتغالهُ بالتاريخ كان يوجب مطالعة كتب عديدة ومنهُ يتَّضح اقتراحهُ على عمرو بان يسلّمهم خزائن كتب اليونان لمعرفتهِ باليونانية اذ كتب هو في هذه اللغة تاريخهُ . ومن المحتمل ايضاً ان يوحنا اسقف نيقيوس اشتغل بتفسير كتب جالينوس في الطبّ وانَّ كتاب السماع الطبيعيّ الذي ورد ذكرهُ في الفهرست هو من تصنيفهِ والله اعلم

فهذا ما خطر على بالنا في هذه المسئلة التي لا نرى لها وجهاً قريباً للحلّ غير ما ذكرنا والله الموفق الى الصواب

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٢ على طريق بغداد

كان اليوم الثاني والعشرون من تشرين الثاني يوم وداعنا للموصل فقدَّمنا الذبيحة الطاهرة لآخر مرَّة في كنيسة الآباء الدومنيكان التي هي اجمل كنائس الموصل ذات ثلثة اسواق من الطرز الرومانيّ البوزنطي يعلوها قبَّتان مرتفعتان

غايتها . ولا بدَّ لهذه الاطواف من ملّاح او اكثر يزيد حركتها بقذافهِ وينظّم سيرها في وسط النهر لئلّا تصدم بضفتَيهِ او بالصخور البارزة منهُ. ومن ثمَّ ينبغي ان تكون المياه مرتفعة فوق قعرها فان قلّت المياه في وقت الصيف صعب ركوب الكلك او تقطّعت الاطواف بصدمها الصخور فيغرق الكلك

فطوفٌ مثل هذا ركبناهُ من الموصل الى بغداد وانّما كان صغيراً مستطيل الشكل طولهُ نحو اربعة امتار في عرض ثلاثة ففرشنا على مقدَّمهِ بساطاً واتخذنا مؤخرهُ لمبيتنا فاقمنا شبه حجرة نأوي اليها كانت جوانبها من اللبد والمشمَّع لتقي حرَّ النهار وبرد الليل وعند الصباح كنّا نحوّل تلك الحجرة الى معبد صغير نتلو فيهِ صلواتنا ونقدّم الذبيحة الطاهرة

وكانت مياه النهر عند وصولنا الى الموصل قد قلَّت في نهاية الصيف فيصعب ركوب الكلك عليها لكنَّ الله سهَّل الامر بنعمتهِ فهطلت الامطار مدَّة اقامتنا في الحدباء. فتصاعدت المياه وقوي سيل النهر فتيسَّر لنا السفر

ففي اصيل ذاك النهار ركبنا سفينتنا هذه. وأحبَّ حضرة الآباء الدومنكان ان يرافقونا الى النهر فودَّعونا داعين لنا بسلام الرحيل . وكان أدّى بهم اللطف الى ان يقدّموا لنا زاداً للسفر فعجزنا عن شكرهم وطلبنا الى الله ان يجزل ثوابهم

كنّا على ظهر طوفنا ثمانية اشخاص منهم كاهن كلدانيّ طلب ان يرافقنا الى بغداد ثم مسلم من وجوه تكريت كان عائداً الى وطنهِ ثمَّ يهوديّ مسكين من نصيبين استرحمنا لنقبلهُ بصفة خادم ثمَّ بدويّ لقيادة الطوف وتسييره في مأمن من شواطئ النهر . وكنّا طلبنا من الحكومة المحلّية ان ترسل معنا ضابطاً لما كنّا نسمع من حركات الاكراد في الجهات الواقعة بين الموصل وبغداد

ليس سيرٌ اهدأ واهنأ من سير الكلك على دجلة والفرات اللهمَّ اذا كان النهر زاخراً فانَّ الراكب لا يشعر بحركة البتَّة فيسير وعلى جانبيهِ ضفتا النهر يسرّح فيهما نظرهُ دون انقطاع فترالى الصور وهو لا يملّ من معاينتها وربما ارتسمت اشكالها في الماء اذا كان صافياً فيجد المتأمل في انعكاسها على تلك المرآة الصقيلة بهجةً ولذّة وكثيراً ما يمتدُّ البصر الى الجهات المجاورة التي تُشرف على النهر من قرى وآكام وغابات ولا سيما غابات النخل التي تبسط سُعُفها في الفضاء فيتلاعبُ بها النسيم . واذا

مدّ الليل رواقهُ تلألأت في الفلك الكواكب الزُهر وتمثّلت للعيان في وجه المياه

سرنا في ذلك المساء والهواء عليل والجوّ صافٍ فكأن من لعنا ايام الربيع وبعد ثلث ساعات من الزمان وصلنا الى قيّارات الموصل فهناك ترى الماء قاراً يتكوّن منهُ القير وعلى جانبي النهر حمّامات كبريتيّة ومعدنيّة يستحمّ بها المرضى فكنّا نستنشق رائحة الكبريت والنشادر وقد اشتهرت هذه القيارات قديماً فقال في وصفها ابن بطوطة (٢ : ١٣٣)

رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالقيّارة بقربة من دجلة وهنالك ارض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويُصنع له احواض يجتمع فيها فتراهُ شبهَ الصلصال على وجه الارض حالكَ اللون صقيلاً رطباً وله رائحة طيّبة وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه الى جوانبها فيصير ايضاً قاراً وبقربة من هذا الموضع عين كبيرة فاذا ارادوا نقل القار منها اوقدوا عليها النارَ فتُنشّف النارُ ما هنالك من رطوبة مائيّة ثم يقطعونه. وقد تقدّم لنا ذكرُ العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو

وهذه الينابيع المعدنيّة تمتدُّ على مسافة بضعة اميال بل وجدنا منها في صباح يومنا التالي وكان قوم من المستحمّين قائمين بجوار احد هذه الحمّامات الذي يعرف بحمّام علي. وقد وصف السيّد ادي شير رئيس اساقفة سعرت حالاً (في المشرق ٣ : ١١٦) منابع النفط التي تجاور مدينة كركوك في المحلّ المعروف ببابا كركور. كما وصف الدكتور نابوليون ماريني (٦ : ٤٤٠) عيت ومنابعها المعدنيّة في العدوة الشرقيّة قريباً من الفرات

وكان الشيخ المسلم الذي معنا يعرف تلك الجهات فيرينا ما يستحقّ بينها الذكر ففي صباح اليوم الثاني من سفرنا كان مرورنا قريباً من «قلعة نمرود» او «تلّ سليم» على ضفّة دجلة الشمالية حيث اجرى الاثريّون لايرد (Layard) وشميد (Schmidt) ورسّام (Rassam) حفريّات مهمّة فوجدوا ثلثة قصور لآصارحدّون وسلمناصر الثالث وهيكلين كبيرين وبرجاً كُتب عليهِ انّ مشيّدهُ سلمناصر بن اشورنيبال وفي تلك القصور تصاوير عجيبة وتماثيل مختلفة لآلهة الاشوريين وكتابات مساريّة وهناك مسلّة من الحجر البركانيّ الاسود يدعوها اهل تلك البلاد مسلّة نمرود وهي ايضاً من آثار سلمناصر ورد فيها اسم ملك اسرائيل ياهو في جملة الملوك الدافعين الجزية لملوك بابل

وكان رفيقنا المسلم محبًّا للآداب حريصاً على معرفة الآثار فاخذ يلقي علينا الاسئلة على تاريخ البابليين ومآثرهم فاعجبهُ شروحنا . ثمَّ انتقل الى مشاكل دينيَّة في حقّ النصرانيَّة فرأينا انَّ في عقلهِ من الاوهام ما نعهدهُ في كثير من اهل ملَّتهِ فيتصوَّرون النصرانيَّة على غير صحّتها وينسبون اليها كثيراً من الخرافات التي يسمعونها من شيوخهم او يقرأونها في كتبهم دون ان يطلعهم احد على حقيقتها . وكان هذا الشيخ سليم النيَّة فاذ عرف منَّا وجه اليقين اقرَّ بسرور فهمهِ لمعتقدات النصارى انارهُ الله وارشدهُ وامالهُ الى سواء السبيل

وفي يومنا هذا لقينا في طريقنا نهرين كبيرين من سواعد دجلة يصبَّان فيها اعني الزاب الاعلى (بيوك زاب) الذي دعاهُ اليونان (Lycus) نهر الكلب كنهرنا اللبناني ورأسهُ في بلاد العجم في حدود اذربيجان يصب فيهِ نهر يُعرف بالقزير وكلاهما يدخل في دجلة . والنهر الآخر هو زاب الاسفل او الصغير (كوتجك زاب) يجري ايضاً من فارس ويصب في دجلة على مسافة نحو ١٠ كيلومترات من الزاب الاعلى شرقاً . وبقرب الزاب الاعلى على دجلة كانت مدينة « الحديثة » المعروفة بحديثة الموصل وحاضرة تلك البلاد قديماً

وبين النهرين تلٌّ يُدعى اليوم قلعة شرقاط على الضفَّة الغربيَّة من دجلة على نحو تسعين كيلو متراً من الموصل فهذا التلّ مربَّع الشكل وفي اعلاه شبه هرم هو بقيَّة برج كان قدماء الاشوريين اقاموهُ لالههم اشور وكان على سبع طبقات على عدد السيَّارات السبع وهو المعروف بالزقُّورة (ziggourat)[١] . وحول التلّ اخربة استوقفت انظار الاثريين فباشر لايرد الفرنسويّ مع رصفائهِ هناك بحفريات اوقفتهم على بقايا هيكل عظيم كان مشيَّداً لذكر الاله اشور ووجدوا فيهِ سواري واعمدة ومعاهد شتى وتماثيل اشوريَّة وكتابات مهمَّة منها واحدة كانت مكرَّرة على قطع من الآجرّ على اربع زوايا الهيكل يُستفاد منها انَّ مشيِّد الهيكل او مرمّمهُ انَّما كان الملك تجلات فلاسّر الاوَّل في اوائل القرن الثاني عشر قبل المسيح . وكل هذه الابنية الفخيمة كانت باللبن ومنها ما صبر على الزمان اكثر من الحجر . ثم استأنف الالمان

١) اطلب صورتها وشرح معناها في المشرق (٣ : ١٠٥٢)

الحفريات في هذه السنين الاخيرة واكتشفوا آثاراً من مدينة كانت هناك حاضرة الاشوريين. وهؤلاء العلماء الالمان عدلوا بعد ذلك الى حفر آثار مدينة اخرى في البرية كان موقعها على مسافة ٥٠ كيلو متراً من اشور في شمالها الغربي نعني بها مدينة الحضر (Hatra) التي فكّ حضرة الاب سبستيان رنزفال قرّاءنا الكرام بوصف تاريخها وآثارها ورسم خارطتها وكتاباتها الآرامية التي سبق هو الى حلّ رموزها (راجع المشرق ١٠:٥٠٩-٥٢٢)

وبعد مرورنا على الزابين عند الظهيرة سمعنا جلبة كأنَّ قوماً يصرخون في أثرنا ثمَّ عقبها صوت طلقات نارية فنظرنا واذا بخمسة او ستّة من خيّالة العرب يتجولون على شاطئ النهر ويتهدَّدونا ببندقيّاتهم وهم يريدون على ما يظهر ان يوقفونا لينهبوا أمتعتنا. لكنَّ الضابط الذي كان في رفقتنا اطلق هو ايضاً عليهم بندقيّتهُ وأراهم بزّته العسكريّة فلمّا عاينوهُ اركنوا الى الفرار

وفي اصيل النهار مرَّ طوفنا قريباً من مناجم ملح معدني تمتدّ في تلك الجهات على جانبي النهر يُستخرج منها كميّات وافرة من الملح الذي تصدرهُ ولاية الموصل الى بقيّة انحاء تركيا.

وكان من عن يميننا على ضفّة النهر المقابلة اخربة عظيمة لقصر من عهد الخلفاء بقي منهُ جدران وقناطر ونقوش بديعة وكان للقصر مسجد ذو قبّة يُرى حتى اليوم وقد اتَّخذت الحكومة التركيّة قسماً من هذه الابنية جعلت فيها ثلّة من جندها لحراسة الطريق وهي تُعرف بخان خرنيت

وبعد ساعة من الزمان قُبيل غروب الشمس بقليل بلغ بنا المسير على دجلة الى تكريت احدى المدن الشهيرة في التاريخ على حدود الجزيرة فاصلةً بينها وبين العراق وهي تُعدُّ اليوم من سنجق بغداد بعد ان كانت ملحقة بسنجق الموصل

تكريت هذه راقية الى زمن الفرس ولعلَّ اسمها مشتقّ من اسم دجلة اليوناني لوقوعها على ضفته الغربيّة. وزعم ياقوت في معجم البلدان (١: ٨٦٢) أنَّها دُعيت تكريت باسم امرأة من نصارى العرب تُدعى تكريت تزوَّجها مرزُبان من العجم بعد ان تبعها في دينها فتنصَّر. ونقل ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٨٩) عن كتاب اللباب ان تكريت المذكورة كانت "بنت وائل اخت بكر بن وائل"

وقد حصّن الفرس تكريت وجعلوها قلعة حصينة قال ياقوت: « انَّ بعض ملوك الفرس (وهو سابور بن اردشير) اوَّل من بنى قلعة تكريت على حجر عظيم من جصّ وحصى كان بارزًا في وسط دجلة ولم يكن هناك بناء . . . وجعل بها مسالح وربايا تكون بينهم وبين الروم لئلا يدهمهم من جهتهم امرٌ فجأةً . وكان بها مقدم على مَن بها قائد من قوّاد الفرس » . ولما فتح العرب الموصل في ايام عمر بن الخطاب افتتحوا تكريت صلحاً على قول البلاذري وعنوةً على قول غيره . قال البلاذري: فتحها مسعود بن حُرَيث الشيبانيّ (قال) : « وكانت لامرأة من الفرس شريفة فيهم يقال لها دارى ثم نزل مسعود القلعة فولده بها وابتنى بتكريت مسجداً جامعاً وجعله مرتفعاً عن الارض لأنه امَّنهُ على خنازيرهم فكره ان تدخل المسجد »

وتكريت لعبت دورًا مهماً في تاريخ النصرانيَّة اشتهر فيها القديس ماروثا الكبير اسقف ميافارقين الذي كان في عهد يزدجرد فارسلهُ سفيرًا مرتين الى ملكي الروم اركاديوس وثاودوسيوس الصغير وهو الذى كتب اخبار الشهداء المستشهدين في العراق والجزيرة على عهد سابور وجمع ذخائرهم في ميافارقين فدُعيت لذلك بمدينة الشهداء (Martyropolis) . وفي القرن السادس تشيَّع اهلها لليعقوبيَّة ثم جعلوها مركزًا لاحد المطارنة فكان اوَّل مطرانٍ منهم عليها مروثا التكريتي (٦٢٩- ٦٦٠) الكاتب اليعقوبي الشهير صاحب الناقور المعروف باسمهِ ومؤلف عدّة ميامر له ردود على النساطرة وتفاسير على الكتب المقدَّسة . وثبت اهل تكريت على نصرانيَّتهم كما افادنا ابن حوقل وكان لهم عشر كنائس تُرى اثار بعضها الى يومنا منها جامع الاربعين الذى يصلي فيهِ المسلمون في يومنا وفيهِ نقوش وآثار جليلة

وفي ايام المتوكل حفر قريباً من تكريت بامره نهر الدُّجيل فاخذوا قسماً من مياه دجلة ليسقوا سواد سامرًا الى قربَ بغداد . وهـذا النهر عُرف ايضاً بالاسحاقيّ نسبة الى اسحاق بن ابرهيم صاحب شرطة المتوكل الذى قام بحفرهِ

وفي هذه المدينة تكريت ولد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٨م) وكان ابوهُ ايوب والياً على قلعتها . وبقيت تكريت مدَّةً على مناعتها ثم خربت بعد ان صارت في حكم الاتراك واليوم هي بلدة صغيرة اغلب سكانها مسلمون وعرب ولمَّا رسونا عندها اقبل اهلها حول كلكنا يصخبون ويتخاصمون ليبيعونا شيئاً

من مآكلهم وكانوا ينظرون الينا نظرَهم الى الوحوش الغريبة وكان بعضهم يتزلون في كلكتنا ليروا على قولهم أيوجد بين امتعتنا شيء محظور فلم ننجُ من لجاجهم الّا باعطائهم « البخشيش » وبمساعدة الشيخ المسلم الذي رافقنا ونزل هناك

لم نُطل الاقامة عند مرسى تكريت فسرنا عند الغرب منحدرين الى الجنوب وما لبث الليل ان كسا الارض بجلبابهِ فشعَّت النجوم زاهيةً زاهرةً وبعد ساعتين طلع القمر فجلّل تلك البقاع بنورهِ اللطيف فكانت ليلةً سعيدة رفعت بقلوبنا الى مكوّن بدائع الطبيعة والصوَر مسبحةً من جلالهِ تحت رونق الكائنات

وفي تلك الليلة مررنا بعدَّة امكنة شهيرة في التاريخ لكنَّها اليوم آثار بعد عين اوّلها « دُور » المعروفة بدُور تكريت وهي دُورة القديمة المذكورة في تاريخ حرب يليانوس للفرس (Ammien Marcellin, XXV, 6, 8,) وتُدعى اليوم بـدُور الإمام لمشهد هناك رفيع اقامهُ ارباب الشيعة لذكر الامام محمّد بن موسى من سلالة الحُسين هو على شبه برج مربَّع تعلوهُ قبَّة مرتفعة

ثم اسكي بغداد التي كانت تُدعى بالكرخ (Charcha) وفيها مجموع من الابنية القديمة المتهدّمة كمسجد منسوب الى ابي دُلف الشهير عند العرب بكرمهِ ومنها الى اليوم بقايا صالحة وكقصر المتوكّل الذي سكنهُ مدَّةً هذا الخليفة وفيهِ قتلهُ مماليكهُ الاتراك باغراء ابنهِ محمّد المنتصر الذي خلفهُ ولم يهنأ بالخلافة الّا نصف سنة

وهناك ايضاً قناة نهروان التي كان احتفرها ملوك بني ساسان لريّ تلك الجهات

وعند منتصف الليل بلغنا سامرّا على طرف شرقيّ دجلة وهي اليوم بلدة لا يزيد اهلها على ٣،٠٠٠ نفس او اقلّ كلهم مسلمون ثلاثة ارباعهم من الشيعة يرتزقون برعية المواشي واعمال الزراعة

وسامرّا هذه قلعة قديمة عرفها الرومان باسم حصن سومرا (Castellum Sumere) ثم خرب الحصن في اوّل عهد العرب. فلمّا صار الحكم الى ثامن خلفاء بني العبَّاس المعتصم بنى مدينةً في هـذا المكان سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) لصحّة هوائها وجودة تربتها وسكنها وشاع اسمها على صورة اخرى فقالوا : سُرَّ من رأى والاسم ليس بعربيّ كما زعم البعض واصلهُ من « شومر » جيل من قدماء البابليين. قال القزويني في آثار البلاد (ص ٢٥٨) :

« وسبب بنائها انّ جيوشهُ كثروا حتى بلغ مماليكه سبعين الفًا فمدّوا ايديهم على حُرَم الناس واذا ركبوا انصدم كثير من الصبيان والعميان والضعفاء من ازدحام الخيل فاجتمع عامّة اهل بغداد ووقفوا للمعتصم وقالوا: قد عمَّنا أذى جيوشك اما تمنعهم او تنقلهم عنا والّا حاربناك . . . فقال: هذه الجيوش لا قدرة لي بها. ثم انحوّل و ك ا ن ا وساق من فوره ونزل سامرا وبنى بها دارًا وامر عسكره بمثل ذلك فعمر الناس حول قصره حتى صارت اعظم بلاد الله بناءً واهلًا وانفق على جامعها خمسمائة الف دينار وجعل وجوهَ حيطانها كلها المينا وبنى المنارة التي كانت من احدى العجائب وحفر الإسحقي وبنى الملوك والامراء بها دورًا وقصورًا وبنى الخلفاء بها ايضًا قصورًا والمتوكل اشتقّ من دجلة قناتين شتويّة وصيفيّة تدخلان الجامع وتتخلّلان شوارع المدينة. وفي جامعها السرداب المعروف الذي تزعم الشيعة ان مهديهم يخرج

وسكن سُرّ من رأى بعد المعتصم ابنهُ الواثق ثم المتوكل اخو الواثق ثم المنتصر ابن المتوكل وخلفاؤهم الى أيام المعتضد فبنوا قصورًا انفقوا عليها اموال الدولة لاسيما المتوكل الذي بنى عشرين قصرًا منها العروس والمختار والوحيد والجعفري والغريب والفرد واللؤلؤة انفق عليها نحو ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم والدرهم زهاء الفرنك تقريباً. قال القزويني:

« ولم تزل سامرا في زيادة عمارة من أيام المعتصم الى ايام المستعين فعند ذلك قويت شوكة الاتراك ووقعت المخالفة في الدولة فلم تزل في نقص الى زمان المعتضد بالله فانهُ انتقل الى بغداد وترك سامرا بالكليَّة فلم يبق بها الّا كرخ سامرا وموضع المشهد والباقي خراب يباب يستوحش الناظر اليها بعد ان لم يكن في الارض احسن ولا اجمل ولا اوسع ملكًا منها فسبحان من تتقلّب الامور ولا يتغيّر بتغيّر الازمنة والدهور »

ولم يبقَ اليوم من ذلك البناء الّا قرية حقيرة وهي مع ذلك قضاء من اقضية سنجق بغداد. اما مشهد المهدي صاحب الزمان فيقصدهُ اهل الشيعة من كل صوب ويزعمون ان هذا المهدي يأتي منهُ في آخر الزمان مع السيد المسيح ليدينا العالم وينقلون الى جواره موتاهم كما يفعلون في كربلاء. وقد أُقيم فيه محجر صحّي منعاً للوباء. قال ابن بطوطة في وصفها: « وهي معتدلة الهواء رائقة الحسن على بيانها ودروس معالمها »

وقد تولّى الاثريّون في هذه السنين الاخيرة الحفر في سامرا اخصّهم المأسوف عليه الجنرال بيليه (Général de Baylié) الذي غرق قبل سنتين في نهر ميكون وقد درس فيها قصور الخلفاء. وعرّف هندستها واثبت انّ بُناتها استعاروا كثيرًا مما

كان يُنسب الى العرب من ابنية الفرس وهندستهم [١]. وقد وصف في كتابه ايضاً مسجد الخلفاء الذي هناك والمأذنة التي فوقهُ وهي يُصعد اليها بدرج على شكل حلزوني ومثلها مأذنة مسجد ابي دُلف السابق ذكرهُ ومأذنة جامع بني طولون في مصر كلها من طرز واحدٍ وعهد واحد . ولستأنف الحفر بعدهُ هناك الدكتور هرتسفلد الالماني فوجد من الآثار ما يطول ذكرهُ

وبين سُرَّ من رأى وبغداد نحو ١٤٠ كيلو متراً على دجلة قطعناها في اليوم الثالث من سفرنا من الموصل (لهُ بقيّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

في آداب نصارى الجاهلية

اتينا في قسمنا الاول بما وقفنا عليهِ من النصوص التاريخيَّة والشواهد الثابتة العيانيَّة عن نفوذ النصرانيَّة في كلّ انحاء العرب حتى اقصاها بعداً وانحاها حدّاً ثم عدَّدنا القبائل التي نسب الكتبة اليها عموماً او الى بعض بطونها التدين بالدين المسيحي

وها نحن اليوم نباشر بالقسم الثاني من كتابنا نجمع فيهِ ما ينوط بآداب نصارى العرب في الجاهليَّة. ونريد بالآداب كلّ ما خلَّفوهُ لنا من مآثرهم في الكتابة واللغة والامثال والحكم والانشاء والشعر والخطب ممَّا رواهُ عنهم ائمة الادباء.

(١) اطلب كتابهُ المعنون (Général de Beylié : *Prome et Samarra*)

الذين جمروا شوارد اللغة العربيّة وآثارها في القرن الثاني بعد الاسلام . فانّ هذه البقايا مع ما تضعضع منها بتوالي الزمان تبيّن بتَرقّي النصرانيّة بين اهل الجاهليّة وتثبت من وجه آخر سعة نفوذها في جزيرة العرب. ويُضاف الى هذه المآثر الادبيّة عادات ألِفها عرب الجاهليّة قبل الاسلام وشاركوا فيها النصارى فتجدهم في اطوار حياتهم الدينيّة والمدنيّة يقلّدونهم ويأخذون مأخذهم حتى لا نكاد نرى في بعض الانحاء اثرًا من وثنيّتهم السابقة . فكلّ هذه الظواهر يشهد عليها الشعراء القدماء والرواة الذين نقل الكتبة المسلمون عنهم اخبار الجاهليّة فنثبتها على علّاتها مع الاشارة الى مواضعها كما فعلنا سابقًا

الفصل الاوَّل

النصارى والكتابة العربية

اوَّل خدمة أدّاها نصارى العرب لقومهم تعليمهم الكتابة . وهي قضيّة يشهد عليها تاريخ الكتابة العربيّة واصولها

لمّا ظهر الاسلام في العشر الثاني من القرن السابع للمسيح لم تكن جزيرة العرب كما زعم البعض حديثة العهد بالكتابة . وانما كانت الكتابة شائعة في بعض الانحاء دون غيرها . فكان لاهل اليمن كتابة يسمّونها المسند شاعت في بني حمير بينها وبين الكتابة الحبشيّة في كثير من الحروف شبه ظاهر . وكانت حروفها منفصلة . وقد وجد سيّاح الفرنج كلازر وهاليڤي وغلازر من آثارها في هذه السنين الاخيرة الوفًا من الكتابات يرتقي بعض عهد اولها الى ما قبل المسيح بنحو ٩٠٠ او ٥٠٠ سنة ومنها ما كُتب في القرون التابعة للميلاد حتى القرن السادس . وهذه الكتابة التي حلّوا اسرارها ونشروها في عدّة تآليف صابئيّة ليست عربيّة كما ظنّ البعض منهم كابن خلدون في مقدّمته (٢: ٣١١ من طبعة باريس) حيث قال : « وكان لحمير كتابة تسمّى المسند ... ومن حمير تعلّمت مضر الكتابة العربيّة الّا انهم لم يكونوا مجيدين لها »

وكان في جزيرة العرب كتابة أُخرى شاعت في شمالي بلاد العرب وفي غربيها وهي الكتابة النبطيّة وقد ظهرت على صورتين صورة منها مربّعة الحروف محكمة

الصُّنع مع صلابة في شكلها شاعت خصوصاً في شماليّ العرب واستعملوها في النقود والابنية لها علاقة مع الخطّ الآرامي المعروف بالاسطرنجليّ وصورة أخرى مستديرة الشكل خشنية الصُّنع جرى استعمالها غالباً في نسخ المعاملات والصكوك وما شاكلها

فهذه الكتابة النبطيّة على صورتيها هي اصل الكتابة العربيّة. ويدعوها العرب بالجزم اخذوهـا عن الامم المجاورة لهم . وكان النصارى هم الذين علّموها العرب سواء قيل أنهم وضعوها او أنهم نقلوهـا كقوم وسط . ولنا على ذلك شواهد تثبت قولنا. فانّ العرب الذين بحثوا عن اصل الكتابة العربيّة نسبوها الى رجال من بَولان من قبيلة طيّ كانوا عـلى دين المسيح يسكنون الانبار فقاسوها على شكل السريانيّة . قال السيوطيّ في المزهر (١ : ٣٩٠)

« انّ اوّل من كتب بخطّنا هذا وهو الجزم مرامر بن مرّة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وهم من عرب طيّ. . . . علّموهُ اهل الانبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها فتعلّمها بشر بن عبد الملك (١ وكان لهُ صحبة بحرب بن اميّة لتجارتهِ عندهم فتعلّم حرب منهُ الكتابة. ثم سافر معهُ بشر الى مكّة فتعلّم منهُ جماعة من قريش قبل الاسلام وسُمّي هذا الخطّ بالجزم لانهُ جُزِم اي قُطع من الخطّ الحميري وتعلّمهُ شرذمة قليلة منهم. . . »

وكذلك نقل صاحب الفهرست (ص ٤) عن ابن عبّاس قولهُ :

« اوّل من كتب بالعربيّة ثلثة رجال من بَولان وهي قبيلة سكنوا الانبار وأنّهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطّعة وموصولة وهم مرامر بن مرّة (ويقال مروة) واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة (ويقال جدلة). فامّا مرامر فوضع الصور وامّا اسلم ففصل ووصل وامّا عامر فوضع الاعجام. وسُئل اهل الحيرة : ممّن اخذتم الخطّ العربي. فقالوا : من اهل الانبار »

ومثلها ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٢ : ٢٠٥) :

« وحكوا انّ ثلاث نفر من طيّ اجتمعوا ببقعة وهم مرامر بن مرّة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخطّ وقاسوا هجاء العربيّة على هجاء السريانيّة فتعلّمهُ قوم من الانبار وجاء الاسلام وليس احد يكتب بالعربية غير بضعة عشر انساناً »

وروى البلاذري في فتوح البلدان (ص ٤٧١) مثل هذا القول لكنّهُ روى « بقّة » بدلًا من « البقعة » وبقّة مدينة قرب الانبار. ثم زاد ايضاحاً بقولهِ عن بِشر :

---

١) هو اخو صاحب دومة الجندل النصرانيّ (راجع القسم الاوّل ص ١٠٨ ـ ١٣٠)

« وكان بشر بن عبد الملك اخو أُكَيدر ابن عبد الملك بن عبد الجنّ الكندي ثم السَّكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانياً فتعلّم بشر الخطّ العربيّ من اهل الحيرة ثم اتى مكّةَ في بعض شأنه فرآه سفيان بن اميّة بن عبد شمس وابو قيس بن عبد مناف بن زُهْرة بن كلاب يكتب فسألاه ان يعلّمهما الخطّ فعلّمهما الهجاء. ثم اراهما الخطّ فكتبا ثم انّ بشرًا وسفيان وابا قيس اتوا الطائف في تجارة فصحبهم غَيلان بن سَلَمة الثقفي فتعلّم الخطّ منهم وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر فتعلّم الخطّ منه عمرو بن زُرارة بن عُدَس فسُمّي عمرو الكاتب ثم اتى بشر الشام فتعلّم الخطّ منه اناس هناك. وتعلّم الخطّ من الثلثة الطائيّين ايضاً رجل من طابخة كلب فعلّمه رجلاً من اهل وادي القرى فاتى الوادي يتردّد فاقام بها وعلّم الخطّ قوماً من اهلها »

فهذا الخطّ هو الذي بعدئذٍ نُسب الى الكوفة لمّا عُني اساتذة الكوفة بتحسينه في اوائل الاسلام. امّا الخطّ الثاني النسخيّ فالظاهر انّ العرب اخذوه من نصارى النبط المجاورين لجهات الحجاز ومن رهبان مدين ووادي القرى الذين ذكرهم شعراء العرب ويؤيّد ذلك قول بعض الكتبة انّ واضعي الكتابة العربيّة كانوا من طسم وجديس وقال ابن النديم في الفهرست (ص ٤) والحاج خليفة في كشف الظنون (٣ : ١١٥) « كانوا من ملوك مَدْيَن » وذكرا رأي من ادّعى انهم وضعوا الخطّ العربيّ على اسمائهم وهي ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ». فذكرهما لمدين وذكر البلاذري لوادي القرى يؤيّد قولنا (راجع ما ورد في القسم الاوّل من النصرانيّة فيها)

وقد وجد العلماء من هـذا الخطّ النسخيّ امثلة عديدة يرتقي عهدها الى عهد الخطّ الآخر. ومن ثمّ لم يعد يجوز القول كما ورد في كتاب القلقشندي من الخطّ (المشرق ٩ : ٢٨٠) بانّ « الخطّ الكوفي هو العربي. وانّ الخطّ النسخي وضعهُ ابن مقلة في القرن الثالث للهجرة » وعلى كلّ حال لا بُدّ من الاعتراف بفضل النصارى لتشييع الخطّ في جهات العرب

وما عدا هذه الشواهد التي تنسب الكتابة الى قوم من النصارى قد ورد في تراجم الشعراء وقصائدهم ما يشير الى شيوع الكتابة بين النصارى قبل الهجرة. فمن ذلك ما روى صاحب الاغاني (٢١ : ١٩٥) وغيرهُ من قدماء الكتبة عن طرفة والمتلمّس وعن الرسالتين اللتين كتبهما عمرو بن هند لعامله المكعبر في البحرين موهماً بانّهُ يوصي لهما بخير وهو يضمر لهما الشرّ. ففضّ المتلمّس صحيفتهُ واعطاها غلاماً عباديّاً من غلمان الحيرة فقرأها له: « باسمك اللهمّ من عمرو بن هند الى المكعبر.

امّا بعد اذا جآءك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديهِ ورجليهِ وادفنهُ حيًّا (١» فلمّا عرف مضمونها فرَّ هارباً · امـا طرفة فلم يشاء ان يقف على محتويات صحيفتهِ فمات قتلًا وضُرب المثل بصفيحة المتلمس للمتهوّر في التهلكة · وفي هـذا دليل على انّ العباديين وهم قوم من النصارى في جهـات الحيرة كانوا يعرفون الكتابة ويعلّمونها غلمانهم · وفي الاغاني (٥ : ١٦١) ان المرقّش الاكبر واخاهُ حرملة « دفعهما الى نصرانيّ من اهل الحيرة فعلّمهما الخطّ »

ولنا دليل آخر في المعلقات التي زعموا أنهـا كُتبت على الحرير وعُلّقت على استار الكعبة واخصّ المعلّقات لشعراء من قبائـل نصرانيّة كتغلب وبكر وكندة ففي كتابتها برهان على شيوع فنّ الخطّ بين النصارى

ومن الادلّة على ذلك مـا جاء في شعراء النصرانيّة من الاشارة الى الكتابة كقول حاتم الطائيّ (الاغاني ٧ : ١٣٢) :

أتعرف آثار الديار توهّمـاً كخطّك في رقٍّ كتاباً منمنـمـا

وقال المرار بن منقذ يصف اخربة دارٍ :

وترى منها رسوماً قد علتْ مثل خطّ اللام في وحي الزُبُرْ

ومثلهما لبيد حيث قال :

وجلا السيول عن الطلال كأنّها زُبُرٌ تجدّ متونها اقلامُها

وسبقهم امرؤ القيس فشبّه طلل الدار بوحي الزبور في عسيب يماني

لمن طللٌ ابصرتُهُ فشجاني كخطّ زبورٍ في عسيبٍ يماني

وقال ايضاً مخصصاً زبور الرهبان :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب وعرفانِ ورسمٍ عفت آياتُهُ منذ أزمانِ
اتت حججٌ بعدي عليها فأصبحت كخطّ زبورٍ في مصاحف رهبانِ

وقد افتخر اميّة ابن ابي الصلت بقومهِ اياد لمعرفتهم بالكتابة · فقال :

قومي ايادٌ ليتهمْ أَممٌ او لو أقاموا فتهزلُ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطّ والقلَمُ

القطّ هو الكتاب · وقد بيّنا سابقاً انّ بني اياد من اوّل القبـائل المتنصرة

---

١) راجع في المشرق (٥ : ١٠١٦-١٠٦٢) تفاصيل هذه القصة

ومنهم كان لقيط الايادي (راجع القسم الاوَّل ص ٧٥) الذي ارسل لقومه صحيفة ينذرهم فيها بما يتهدَّدهم من الاخطار من جانب كسرى (١ اوَّلها:

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى من بالجزيرة من ايادِ

هذا وممَّا ينفي كلَّ شكٍ في ما نقوله ان الكتابتين العربيَّتين اللتين وُجدتا حتى اليوم من عهد الجاهليَّة هما لقوم من النصارى. فاقدمُها الكتابة التي رسمنا صورتها في القسم الاوَّل الباب التاسع (ص ١٠٣ - ١٠٤) وهي الكتابة المكتشفة في زُبَد في جوار الفرات يرقى عهدها الى السنة ٥١٢ للمسيح اي قبل الهجرة بمئة وعشر سنين وهي في ثلث لغات اي اليونانيَّة والسريانيَّة والعربيَّة تصرِّح بان المشهد الذي أُقيم هناك انَّما شُيِّد تذكارًا للقديس سرجيوس الشهيد وفي اوَّلها الاسم الكريم او دعاء له تعالى (٢

والاثر الثاني وُجد في حرَّان من اعمال بلاد حوران مكتوبًا باليونانيَّة والعربيَّة تاريخه ٥٦ قبل الهجرة اي السنة ٤٦٣ لبُصرى و٥٦٨ للمسيح ورد فيه انَّ هناك «مرطول» (Martyrium) اي مشهد لتذكار القديس يوحنَّا المعمدان هذا اوَّله بالعربيَّة

انا شرحيل بر (ابن) ظلمو (ظالم) بنيتُ ذا المرطول سنة ٤٦٣ ...

وقد رسمنا مع هذه الكتابة كتابتين اخريين عربيَّتين الواحدة بالحرف النبطي وجدها في نارة في الصفا الرحَّالة دوسو وهي مكتوبة على ضريح احد ملوك الحيرة يُدعى امرؤ القيس بن عمرو تاريخ وفاته ٧ كسلول من السنة ٢٢٣ لبصرى الموافق لسبعة كانون الاوَّل من السنة ٣٢٨ للمسيح. والاخرى عن صفيحة قرآن كُتبت على الرقّ من القرن الثالث للهجرة وهي خاصة مكتبتنا الشرقيَّة

فكلّ هذه الحجج والبيّنات دعت بالعلماء المستشرقين الى ان ينسبوا الكتابة العربيَّة او على الاقلّ انتشارها بين العرب الى النصارى واوَّلهم امامهم دي ساسي (B^{on} S. de Sacy) الذي كتب في هذا الصدد مقالة واسعة اثبت فيها استعارة العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق وما بين النهرين قال في المجلَّة الاسيويَّة (J. A., 1re Série, X. 210-211) مشيرًا اليها:

J'établissais par des preuves de toute espèce que l'écriture

١) راجع تاريخ ابن الاثير (١: ١٥٧ طبعة مصر)

٢) اطلب رحلة المسيو دوسو (R. Dussaud) الى بادية الشام (ص ٣١٦، ٣٢٤) وكتاب ليدزبرسكي (Lidzbarski) في الكتابات الآرامية (ص ٤٨٦)

fut apportée dans le Hedjaz de la Mésopotamie, où les Syriens l'avaient propagée parmi les tribus arabes qui avaient, du moins en partie, reçu la religion chrétienne, ce culte auquel la mauvaise foi a si souvent reproché de favoriser l'ignorance, et qui, comme l'histoire en fait foi, a toujours amené à sa suite l'art d'écrire et le goût pour l'étude.

وقال الاثري الشهير فيلب برجه في كتابه عن اصول الكتابة (Ph. Berger: *Histoire de l'Ecriture dans l'Antiquité*, 2^de éd., 287) « ان الكتابة العربية وجدت قبل محمد كانت نصرانيّةً قبل ان تتحوّل الى اسلاميّة »

L'écriture arabe existait avant Mahomet, elle a été chrétienne avant d'être musulmane.

ومثلها المستشرق العلّامة ولهوزن (J. Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 232) أكّد بان الكتابة العربية شاعت اوّلًا بين النصارى ولاسيا البادين في الحيرة والانبار فقال:

Die Christen haben das Arabische wol zuerst als Sprichtsprache gebraucht. Namentlich die Ibaedier von Hira und Anbar scheinen sich in dieser Beziehung Verdienste erworben zu haben.

ويوافق هؤلاء الكتبة الدكتور الالماني روتشتين (G. Rothstein : *Die Dynastie d. Lahmiden in al Hira*, p. 26) والاستاذ المجري الشهير غولدسيهر (J. Goldziher : *Muhammedanische Studien*, I, 110)

فهذه الشواهد كافية لتثبت حقيقة قولنا بانَّ الفضل الكبير في تعليم الكتابة العربيّة للمسلمين يرجع لنصارى العرب وان لم ننكر انّ لليهود ايضاً حصّةً في ذلك لاسيا في المدينة كما ذكر البلاذريّ . وكذلك ذكروا انّ بعض العرب كتبوا في الجاهليّة بالعبرانيّة الّا انّ عبرانيّة ذلك العهد هي الآراميّة او السريانيّة كقول صاحب الاغاني (٣ : ١٤) عن ورقة بن نوفل « انّهُ كان يكتب بالعبرانيّة من الانجيل ما شاء » والله اعلم

(له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Axel Moberg: BUCH DER STRAHLEN-Die groessere Grammatik des Barhebræus. *Erster Teil u. Stellenregister* (1913) pp., 436 *Leipzig.*

كتاب الصحي لابن العبري

ورد في المشرق (١ : ٥٠٧ — ٥٠٨) ذكر الكتب اللغويّة التي ألّف فيها ابن العبري قصبة السبق بين السريان . وقيل هناك انّ اكبر هذه التآليف انّما هو كتابهُ المسمّى بالصحي (ܟܬܒܐ ܕܨܡܚܐ) اي الضياء . وهذا الكتاب مع فضله لم يُطبع الّا طبعة حجريّة تولّى نشرها الخوري الفرنسوي مارتين في باريس سنة ١٨٧١ . والى هذه الطبعة السقيمة يرجع علماء السريانيّة حتى الآن لكنهُ منذ خمس سنوات اراد احد اساتذة مدرسة لُند المستشرق الالماني موبرغ ان يقرّب فوائد هذا الكتاب من طلبة العلوم الشرقيّة فترجم قسماً منهُ الى الالمانيّة اي مقدّماتهِ العموميّة وها هوذا انتهى من بقيّة اقسامهِ اعني احوال الاسم والفعل والحرف عند السريان . ولم يكتفِ بنقلهِ الى لغة اوربيّة نقلاً مضبوطاً بل اضاف اليهِ ملحوظات شتّى واصلاحات على الطبعة الحجريّة وفهارس للالفاظ اللغويّة المشروحة . حتى جعلهُ احسن الاسانيد التي يستند اليها اصحاب التآليف في لغة السريان على مثال امامي المستشرقين تيودور نولدك وروبنس دوقال . فنحضّ العارفين بالالمانيّة في بلادنا من طلبة اللغة السريانيّة على اقتناء هذه الترجمة المفيدة الاب ب . جورن

LE THALER DE MARIE-THÉRÈSE. Etude de Sociologie et d'Histoire Economique par **Marcel-Maurice Fischel**, *Paris, Giard et Brière*. 1912, XXXI-208

الريال النمساوي

من غريب الامور التي ألفها عرب الحضر والمدر على عهدنا في قسم كبير من بلاد الجزيرة الى حدود العراق ثمّ في شمالي افريقية واواسطها كالسودان والدفور ونوبية وكردوفان ودنقلة والصحراء ومرّاكش انهم اعتادوا في متاجراتهم استعمال نقود قديمة مضروبة في النمسا على صورة مريم تريزا امبراطورة اوستريا التي ملكت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر فشاع في البلاد المذكورة رواجها حتى لم يكد

العرب يقبلون غيره ُ وتكرَّر لذلك مرارًا عديدة سبكهُ منذ ١٦٠ سنة بل يُسبك غير مرَّة في السنة الواحدة . ففي العام الماضي ١٩١١ ضُرب منهُ ٨,٣٨٧,٢٠٠ قطعة صُرفت كلّها في جهات الشرق وبين العرب . فاحبَّ الدكتور الفرنسويّ فيشل ان يبحث عن اصل هذا الشيوع الغريب واتساع دائرته واسبابهِ فوضع كتاباً ضخماً سعى فيهِ عن ايضاح الامر فبعد ان لخَّص تاريخ متاجرة الدول الغربيَّة مع الشرق لاسيا فرنسة بيَّن كيف دخل الريال التساوي في المعاملات التجاريَّة بادئ بدء وكيف غلب استمالهُ على غيرهِ حتى انَّ العرب لم يعودوا يرضون بسواه . فعلَّل الامور باسباب سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة اثبتها في هذا الكتاب على طريقة مستطرفة . وزاد على هذه الاسباب داعياً آخر وهو اتخاذ العرب هذا الريال كحلية تزيّن بها نساؤهم رؤوسهم وكقلائد لبناتهم اذ رأوا في تمثال مريم تريزا صورة ملكةٍ عظيمة الشان متوَّجة بتاج الملوك فاستحلوها وفضَّلوها على سواها . وقد تعجَّبنا لدى مطالعة هذا الكتاب من علم صاحبهِ الذي امكنهُ ان يكتب كتاباً في نيف ومائتي صفحة من قضيَّة لا يستطيع واحد من اهل الشرق ان يكتب فيها صفحة واحدة   ل

ՉՈՐՍ ԱՒԵՏԱՐԱՆՆԵՐ
և
ԳՈՐԾՔ ԱՌԱՔԵԼՈՑ

ترجمة الاناجيل المقدَّسة واعمال الرسل في الارمنيَّة الحديثة

طُبع بعناية الآباء اليسوعيين في مطبعتنا الكاثوليكيَّة في بيروت (١٩١١ ص ٤٨٧)

الطائفة الارمنيَّة سواء كانت كاثوليكيَّة او غريغوريَّة لا تستعمل في طقوسها غير اللغة الاصليَّة المعروفة عندهم بالغرابار (գրաբար) الراقي عهدها الى القديس مسروب الكبير في القرن الخامس للمسيح . على انَّ هذه اللغة الشريفة قد يشكل اليوم فهمها على جمهور الارمن . فاستدراكاً لهذا الخلل سعت الجمعيَّات البروتستانيَّة بنقل الاسفار المقدَّسة الى الارمنيَّة الحديثة فنشروها كعادتهم نشراً واسعاً في كلّ أوب وصوب رجاء ان يجتذبوا بواسطتها ابناء الكنيسة الارمنيَّة الى اضاليلهم . فهذا ما حدا بالآباء اليسوعيين المرسلين في جهات الارمن الى ان يُقدموا على ترجمة جديدة للاناجيل الاربعة ولاعمال الرسل عدلوا فيها عن التعبير

القديم غير المفهوم من العامَّة في زماننا وتزُّهوها معاً عن كلّ لفظة مطروقة مستهجنة . وقد رجعوا في هذه الترجمة الى الاصل اليونانيّ لمّا الروايات المخالفة لهذا الاصل التي وردت في ترجمة القديس مسروب الشائعة باسمه فاهملوا بعضها لأنَّ اهل النقد لم يقفوا حتى اليوم على نسخة خطيَّة ثابتة يمكن نسبتها اليه . مثال ذلك ما ورد في لوقا (١ : ٢٨) : « السلام عليك يا ممتلئة نعمةً » وفي اليونانيَّة (κεχαριτωμένη) فانَّ الترجمة السروبيَّة فسَّرت هذه اللفظة بكلمة معناها المسرورة والفرحة ([illegible]) والاوفق ان تترجم بكلمة مطابقة لليونانيَّة وهي ([illegible]) . وقد اضاف النَّقَلة الى المتن بعض شروح قصيرة واضحة لازالة كلّ ابهام عن بعض الآيات التي يحوّلها البروتستانت عن معناها الصحيح ليثبّوا بواسطتها تعاليمهم الفاسدة وهذه الترجمة الجديدة قد صادقت عليها اللجنة الكتابية بعد فحصها في رومية ف . ت

سيرة القديس يوحنّا الدمشقي الاصلية تصنيف الراهب مخائيل السماني الانطاكي . نشرها لاوَّل مرَّة الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي . بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٣ (ص ٣٦)

لمَّا وصفنا المخطوط الحادي والخمسين من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة وفيه مقالات عديدة للقديس يوحنَّا الدمشقيّ تاريخها اواسط القرن الثامن عشر ذكرنا انَّ في آخر الكتاب ترجمة حياته وظننَّا انها ملخَّصة عن ترجمةٍ اليونانيَّة المنسوبة الى يوحنّا البطريرك الاورشليميّ (وقيل الصواب الانطاكيّ) من كتبة اواخر القرن العاشر وانَّ معرّبها هو الراهب انطوني من سيق مار سابا المذكور اسمهُ في اوَّل الكتاب . فهذه الترجمة العربيَّة عينها وجدها حضرة الخوري قسطنطين الباشا في ثلاث نسخ الواحدة قديمة ناقصة لا تاريخ لها كانت في حمص والثانية وُجدت في كفربو من اعمال حماة تاريخ كتابتها سنة ١٦٤٦ وفي اوَّلها مقدّمة للراهب مخائيل السماني الانطاكي يقول فيها انَّهُ قد صنَّفها بعد دخول سليمان بن قطلمش الى انطاكية سنة ٦٥٩٣ للعالم (١٠٨٤ م) . والثالثة اقدم هي من مخطوطات مكتبة الواتيكان تاريخ كتابتها سنة ١٢٢٣ . فقابل حضرة الخوري ق . الباشا بين هذه النسخ فتأتّى له ان يستخرج منها سيرة تامَّة نشرها في مطبعة الآباء البولسيين في حريصا . وهو يظنّ انَّ هذه النسخة العربيَّة هي الترجمة الاصليَّة التي بعدئذٍ شاعت في اليونانيَّة بتصرُّف

كبير على اسم يوحنا بطريرك انطاكية وانَّها وضعت اولًا في العربية ومؤلفها هو ميخائيل الراهب المذكور في مقدّمة النسخة الثانية ثم نقلها بعد ذلك يوحنّا بطريرك انطاكية الى اليونانيَّة بتصرُّف . ونحن مع تقدمة التهاني لحضرة الخوري ق . ب . نرى مشكلًا في نسبتهِ ترجمة القديس يوحنّا الدمشقي العربيَّة الى الراهب ميخائيل وفي نسبتهِ نقلها اليوناني الى يوحنّا الانطاكي وقد عاش هذا في القرن العاشر على عهد نيقوفورس الثاني فوقاس وكتب الراهب ميخائيل بعدهُ بنحو مائة سنة في القرن الحادي عشر بعد دخول ابن قطلمش الى انطاكية سنة ١٠٨٤ فالرجاء من حضرتهِ ان يحلّ لنا هذا المشكل التاريخي ل . ش

شذرات

⊱ الكثيبة بإزاء اعدائها ⊰ تأسف حضرة الخوري ا . م . غ . احد الآباء المرسلين الكريمين في بوانس ايرس على ما وجدهُ في الجمهوريَّة القضيَّة من معاداة بعض الكتبة للكثيبة الكاثوليكية فنظم هذه القصيدة منتصرًا لبيعة الله مبيّناً فيها انَّ مساعي اعداء الكثيبة لا تضرُّ بسواهم وانَّ الكثيبة لا بُدَّ ناثرةٌ شاؤوا ام ابوا :

رَسَمَ الالهُ على الكثيبة آيةً ... تتزعزع الدنيا ولا تتزعزعُ
ضربت قوى من رامَ هدمَ صليبها ... أبدًا تدوم وللأعاديَ تصرعُ
شَنَّ الزوالمُ غارةً لقتالها ... فتبعثروا وتشتتوا وتضعضعوا
والنصرُ دوماً دأبها وشعارُها ... وسيوفها عنقَ الضلالةِ تقطعُ
يا من عمدت الحربَ منها فارتجع ... كي لا تعودَ بعينِ حزنٍ تدمعُ
هاكَ المثالَ اذا قصدت قتالها ... وتيقَّنْ بانَّ نفسكَ تخدعُ
قردٌ رأى يوماً حذاءهُ حمامةً ... بيضاء كالثلج النقيّ تلمعُ
أتتِ ارتقتْ غصناً بأعلى دوحةٍ ... في روضةٍ فيها البدائعُ جُمَّعُ
وبهاؤها بهرَ العيونَ بنورهِ ... فكأنها شمسُ السماء تشعشعُ
جمتْ جموعَ فراخها من حولها ... وغدت بهم شبه الثريا تسطعُ

من مُدهش بجماله من كامل،   بصفاته حذقاً وحسناً يجمعُ
من طائر من مائل، من صادح،   سبحاً ومجداً للمهيمن يرفعُ
حرق الحشا من في المشاهد قردنا   واذابهُ الحسدُ الخبيث المُفجعُ
وغدا كمن فقدَ الهُدى من قهره   يرغي ويلطمُ رأسهُ ويُتعتعُ
قصدَ الحسودُ قتالها ليتها   ظنّاً بان الضيمَ عنهُ يدفعُ
ما اذنبتْ لكن رآها أنها   بدرُ الجمالِ وانه المُستشنعُ
هجمَ الجهول وقلبه متحرقٌ   ويقصده غصنَ الحمامة يقطعُ
ليزجها حتى الحضيض وزعمهُ   بسقوطها كاسَ المنونِ تُجرّعُ
فتسلّقَ الغصنَ الذي هي فوقهُ   في همّةٍ تحكي النسيمَ ولسرعُ
وبدا يعضّضهُ ويقرض جذعهُ   ويهزّهُ طوراً وطوراً يجرع
جهلَ التعيسُ بانه إن قطّع م   الغصنَ حالاً عمرُهُ يتقطعُ
قالت له تلك الحمامةُ: يا غبي   اجهلتَ انكَ بابَ حتفكَ تقرعُ
لم يرتدعْ فالحقدُ اعمى قلبهُ   وأبى النصائحَ والمواعظَ يسمعُ
شفقتْ عليه وحذّرتهُ فما ارتضى   الّا حماقةً فعلهِ يتتبعُ
حتى تحطّمَ غصنهُ فدوتْ له   اصداءُ اوديةٍ وهو يتصدعُ
وانقضّ منحطاً بصحبة قردنا   فتكسرت اطرافهُ والاضلعُ
وتضرّجتْ جثاته بدمائه   وحياته بالرغم عادَ يودعُ
فبكى دماً ندماً على مفعوله   وتمازجت فيه الدما والأدمعُ
ندمَ التعيسُ ولات ساعة مندم   راحت ندامته سدًى لا تنفعُ
اما الحمامة حلّقت بترفرفٍ   نحوَ الكواكب بالمنا تتمتّعُ
وفراخها ضحكت عليه لجهله   وتطايرت نحو العُلى تتجمّعُ
والقردُ اضحى اسفلاً متجندلاً   والطرف منهُ مُحرّقاً يتطلعُ
ذابت حشاه واكثرت اسواؤهُ   وقضى بموتٍ للصخور يُفجّعُ
كيدُ العدو عليه يرجعُ دائماً   والنصرُ دوماً للكتيبة يرجعُ
هذي الكتيبة لا تذلّ قتالك   وتُذلُّ راساً ضدها يترفعُ
هذي الكتيبة لا يُصدّعُ ركنها   وصليبُها ركنَ الجحيم يصدّعُ

هذي الكتيبة لا خلاصَ بدونها تتزعزع الدنيا ولا تتزعزعُ

❊ اعتراضات محمد طاهر التنير ❊ روى حضرة الاب تورنبيغ في مقالته عن النهضة الكاثوليكيَّة في حلب في القرن السابع عشر ما ابداهُ بعض نصارى الشهباء في سبيل دينهم من البسالة حتى فضّلوا المنيَّة على الدنيَّة وماتوا كراماً لحفظ شرفهم ودينهم . فقام كاتب عرف قرّاؤنا تطاولهُ على ديننا في كتابهِ المشؤن « العقائد الوثنية في الديانة النصرانيَّة » الذي زيّفناهُ بكراسين تحت عنوان « تفنيد التزوير لمحمد طاهر التنير » فاخذناهُ بها وكان بوسعنا ان نطيل ذلك الردّ في مدَّة مجلّدات . وكأنَّ هذا الكاتب الزَّ نقم علينا فظنّ انَّهُ هذه المرَّة يصيب في عجلتنا مقتلاً لكن ساء ظنّهُ فانَّ الاخبار التي نقلها حضرة الاب تورنبيغ عن شهداء حلب رواها عن اوثق المصادر من شهود عيانيين دوَّنوها عند وقوعها وقد دلَّ حضرة الكاتب في ذيل مقالتهِ على هذه الاسانيد التي يمكن التنير واصحابهُ ان يرجعوا اليها . وهي مرويَّة اولاً في ترجمة القنصل الفرنسوي « فرنسوا بيكه » الذي كان في تلك الايَّام قنصل مملكتهِ في حلب واعلمَ دولتهُ بوقوعها . وثانياً دوَّنها المرسلون الفرنسويُّون في كتاباتهم المرسلة الى اوربة والمصونة حتى اليوم في سجلات الدولة الفرنسويَّة حيث يستطيع كلّ من شاء ان يفحصها ويتحقَّق صدقها . وثالثاً ورد ذكرها في تاريخ يرتقي كتبهُ الى ذلك العصر طُبع بالفرنسويَّة والايطالية عنوانهُ (Besson : *Syrie et Terre Sainte*). ورابعاً ولا يزال نصارى حلب يروون حتى اليوم كثيراً من هذه الاخبار ويكرمون اولئك الشهداء . وقد شاهدنا في بعض احيائهم قبر واحد منهم . افيطلب محمد طاهر التنير اكثر من هذه الشواهد ! . ولو عرف ما نعرفهُ من اخبار ذلك الزمان بل لو تذكَّر ما هو اقرب منّا وعاينهُ بعض شيوخنا بل كهولنا واحداثنا كحوادث الشام سنة ١٨٦٠ وحوادث الارمن سنة ١٨٩٥ وآطنة سنة ١٩٠٩ لودَّ لو ان تبقى تلك الاعمال الهمجيَّة مستورةً الى ابد الدهر . ولكن ليس خفيٌّ الّا سيظهر ان شاء الله . اما شتائم الكاتب فلا نكترث لها ويكفينا ان نقول لهُ انَّ ما عدَّهُ في مقالة الاب تورنبيغ كذباً وخرافة دليل واضح على انَّهُ يجهل اخبار زمانهِ التي كلّ منّا بل كلّ من رواة المسلمين يعرفون اكثر منها . وما احوانا نحن من جهتنا ان نقيم الحجّة على محمد طاهر التنير الذي من

اوَّل عدد من ورِيقتِهِ الحديثة ابتدأ بالسفاهة وجرح احساسات النصارى بصورة صليب علَّق على عارضته حذاء ونصهُ فوق رؤوس ملوك البلقان سامح الله الدولة التي تسمح بنشر مثل هذه المسوخ

اثر روماني في بيروت ❋ بينما كان الفعلة في اواسط الربيع الاخير يحفرون لوضع اساس بيت في رأس بيروت اذ وقفوا على صفيحة طولها متر و١٢ س في عرض ٤٧ ملمترًا وسمك ٤٠ م وجدوا عليها كتابة لاتينيَّة محكمة الصنع مهمَّة لتاريخ بيروت نشرها حضرة الاب لويس جلابرت من اساتذة كليتنا في نشرة اكادمية الكتابات والفنون الجميلة (Académie des Inscript. et Belles-Lettres, *Juin*, 1912, 248-256)

C. Valerio. T. f., Fab(ia tribu). Rufo, honor(ibus) decurionalib(us) orn(ato) dec(urionum) dec(reto), praef(ecto) coh(ortis) VI praetor(iae), tr(ibuno) mil(itum) leg(ionis) VII Cl(audiae) P(iae) F(idelis), misso cum vexillo ab Imp(eratore) Nerva Traiano Optumo Aug(usto) Ger(manico) Dacico Parth(ico) Cyprum in expeditionem, praef(ecto) alae Gaetulor(um), praef(ecto) Imp(eratoris) Caesaris Trani (*sic*) Hadriani Aug(usti) P(atris) P(atriae) (duum)virali potestate, L. Careius Adiectus Sedatianus ob merita.

فيستفاد من هذا الاثر ان رجلًا من مستعمرة بيروت الرومانيَّة اسمهُ كاريوس أدجكتوس سيداتيانوس عُني بحفر هذه الكتابة تذكارًا لضابط يُدعى ڤاليريوس روفوس اشتهر بعدَّة وقائع قتال من قبل الامبراطور ادريان نحو السنة ١٢٩–١٣٠ للمسيح رتبة شرفيَّة اذ جعلهُ كنائبهِ في بيروت لمَّا اختارتهُ بلديَّتها كاحد الاثنين (duumvir) المتولّين تدبير احوال المدينة . وفي الكتابة المذكورة اشارة الى خدم أُخرى اداها ڤاليريوس روفوس لدولتهِ اولها محاربتهُ للفرس مع الامبراطور طرايانوس سنة ١١٤ كضابط في الفرقة السابعة المعروفة بكلوديا. ثم بعثتهُ العسكريَّة الى قبرس نحو ١١٦ او ١١٧ لكبح جماح اليهود الذين روى عنهم المؤرخ ديون كاسيوس انهم كانوا عمدوا الى الثورة فنهبوا مدينة سلامينة وقتلوا ٢٤٠,٠٠٠ من اهل تلك الجزيرة. ثمَّ تعيينهُ كقائد لفرقة من الفرسان تُعرف بالجاتوليَّة . فترى خطر هذا الاثر لتاريخ بيروت وقبرس والامبراطورين طرايانوس وادريان ومنهُ يرجح انَّ ادريان شرَّف بيروت بزيارة خاصَّة فاختارتهُ البلديَّة كرئيسها شرفًا

اسئلة واجوبة

س ارسل لنا من سدني (اوستراليا) حضرة الخوري يوسف الدحداح قطعة من جريدة انكليزيّة تدعى الشمس تاريخها ١٠ ت ٢ سنة ١٩١٢ (The Sun, November, 10, 1912) فيها صورة حيوان شبيه بالانسان اصطاده بعضهم وادّعوا انهُ من نسل الحيوان المتفرّع منهُ الانسان

ج الحيوان المذكور كما تشهد عليهِ الصورة المرسلة نوع من القرود التي لا ذنب لها وهو اقربها من شكل الانسان يُعرف باورنغ هوتنغ (Orang- Outang) والعلماء يعرفونهُ من مدّة طويلة ومن جملة احد جدود الانسان او شقيقاً لهُ خلط الدرّة بالبعرة

س وسأل من البقاع حضرة الخوري اسطفان يوسف الشدياق ايجوز للشرقيين قراءة الروايات الخلاعيّة المحرَّمة في اصلها الاوربي كتآليف اسكندر دوماس واوجين سو وغيرهما

ج معلوم انَّ الكتب المخالفة للدين والنافية للآداب اذا حرمها الكرسيّ الرسوليّ في لغاتها الاصليّة هي محرَّمة ايضاً في ترجماتها . فالشرقيّون كغيرهم من الكاثوليك يخطئون اذا عرّضوا نفوسهم لخطر الكفر او فساد الآداب بمطالعة تلك التآليف الضارَّة . امَّا هل تنالهم ايضاً العقوبات الكنسيَّة التي يستوجبها الغربيُّون بمخالفة امر المجمع المقدَّس فالامر ليس بمقرَّر

س وسأل مستفيد من بغداد من هو «ارسطاطاليس بن نيقوماخوس الجيراشي» الذي ورد ذكرهُ في طبقات الامم لصاعد الاندلسي الذي نُشرت طبعهُ في المشرق (١٦ : ٦٦٩)

ارسطاطاليس بن نيقوماخوس الجهراشيّ

ج قد اثبتنا في ذيل المشرق هناك انَّ اسم الجهراشيّ قد التبس علينا وذكرنا انهُ من المحتمل ان المؤلف اراد «الاسطاغيري» نسبةً الى اسطاغيرا وطن ارسطو. فقام صاحب لغة العرب (١ : ١٨٩) لينقد هذا الرأي وتأوَّل لهُ تأويلات غريبة كقولهِ انَّ الجهراشيّ تعريب «Γεραιος» اي الشيخ او نسبة الى «Γεραιστος» احد آلهة اليونان او نسبة الى مدينة غرسته (Géreste) مدينة يونانيَّة . وكلّ ذلك لا اصل لهُ ولا فصل . والصواب انَّ «جهراش» مدينة في حوران واسمها جرش او جهراش (Gérasa) فنسب اليها صاحب طبقات الامم نيقوماخوس ابا ارسطاطاليس وذلك غلط بل خلطٌ منهُ لانهُ وُجد عالم من جرش اسمهُ نيقوماخوس الجرشي او الجهراشي كان رياضياً وفيلسوفاً في القرن الاوَّل بعد المسيح فظنَّ صاحب طبقات الامم انهُ والد ارسطو . وبذلك سقطت تأويلات صاحب لغة العرب ل . ش